دلالات اقتران إنزال القرآن بإنزال غيث السماء
في سور القرآن الكريم - أسرار ومناسبات ولطائف-

د. بريك بن سعيد القرني

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دلالات اقتران إنزال القرآن بإنزال غيث السماء
في سور القرآن الكريم - أسرار ومناسبات ولطائف-

د. بريك بن سعيد القرني

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تم في هذا البحث دراسة لون من ألوان الاقتران الموضوعي ، وهو اقتران النزولين نزول غيث القرآن وغيث السماء في القرآن في مواطنها الأربع عشرة في القرآن .

وكانت خطة البحث مكونة من مقدمة وفصلين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع، على النحو التالي:

الفصل الأول : نبذة عن الاقتران عند أهل العلوم ، والمؤلفات في الحقل القرآني ، وفيه ثلاثة مباحث

الفصل الثاني : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء ، وتحته مبحثان .

المبحث الأول : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في العهد المكي، وفيه أحد عشر مطلباً ،

المبحث الثاني : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في السور المدنية، وفيه مطلبان.

وخلصت إلى نتائج مهمة ، وكان من أبرزها :

١–اقترنت آيات النزولين: نزول القرآن والماء الهتان في ١٤ موضعاً، معظمها في السور المكية إلا ما في سورتي البقرة والنور المدنيتين.

٢ – في هذا الاقتران ما اتصل فيه النزولان، وفيه ما انفصل فكان بينهما فاصلٌ وهو الغالب، ومن نظر في ما تخلل النزولين لم ير الانفصال بعيداً عن تقرير قضية أساسية من قضايا العهد المكي ومعالم هداياته الكبرى.

٣ – تقدم إنزال القرآن على إنزال غيث السماء في سور: الأنعام، إبراهيم، الحجر، الكهف، الفرقان، النور، العنكبوت، الشورى ، وتقدم إنزال الماء على إنزال القرآن في بقية المواطن من سور: البقرة، الرعد، فصلت، الزمر، الواقعة، النحل.

٤– نَدَر أن تخلو صدور هذه السور الجامعة لاقتران النزولين من ذكر القرآن وتنويه بشأن الكتاب في أوائلها، وكان جلياً في سور: البقرة، الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل، الكهف، الفرقان، الزمر، فصلت، الشورى، النور، وخلت منها افتتاح سور العنكبوت، الواقعة، والأنعام، لكن ميز جميعها أن هناك حديثاً مبثوثاً عن القرآن بخبر عنه أو نعت له أو صفة من صفاته في كل سورة، وربما نعت الكتاب بعظيم النعوت في أولها وآخرها وربما في وسطها كذلك، هو ملحظ منبه إليه في مواضعه المختلفة.

٥ – أما آيات نزول القرآن فغرض ما عناه التنزيل من إيرادها جلي ، وهو تقرير صدق الكتاب وأنه حق منزل على محمد صلى الله علية وسلم ليس من عنده ولا من تلقاء نفسه، ودفع شبهات الخصوم وتحداهم مقرعاً لهم موبخاً عن عماء بصائرهم عن النور المبين والحق المستبين.

أما آيات نزول الماء ودفق السحاب فكان متنوعاً من تقرير دلائل الوحدانية وإثبات تفرد الله بالخلق والتدبير والتصريف لأمور الخلق في سياق منظومة من دلائل القدرة الباهرة وآيات التوحيد القاهرة، وفي إثبات أمر المعاد ويوم القيامة مقابل إنكار المنكرين واستبعاد المكذبين إلى بيان أمر الدنيا وسرعة زوالها وانقضاء زهرتها وتغير مناهجها وأنه دار فناء وغرور وكدر وتقلب وشرور.

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والثناء له تعالى بعظمته ومجده، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مزيداً ، وبعد:

فإن من شواهد عظمة هذا الكتاب وآيات سطوع براهينه وسمو بيانه أن الألباب لا تفتر عن انتزاع ما حواه من بديع المعاني وعذب الأسرار.

فهو الكتاب الذي لا تزيده الأيام إلا عظمة، لا تشبع منه الألسنة، ولا تمل منه القلوب.

ومن أراد أن يُثَوِّر القرآن فليمعن نظره في جليل نظمه وسمو لفظه وروعة أغراضه حين ينتقل بينها ناثراً أعاجيب ومُلحاً وإشارات تكتنز دقيق المعاني وشفيف الفوائد.

وكنت متأملاً في سور القرآن العظيم أمر اقتران ألفاظه وتلازم مفرداته حتى بان لي **اقتران نزول القرآن ونزول غيث السماء** في غير ما موطن، فانقدحت فكرة تتبع ذلك فوجدته متكرراً يكاد يكون لازماً فأثمرت هذه الدراسة التي أزعم أنها همزة حروف وواحد أعداد في موضوع اقترانات موضوعات قرآنية تلازم ذكرها في سور القرآن بعد أن بُحثت الاقترانات اللفظية والحرفية وتشاطر أهل التخصص جهد تتبعها ، ودبجوا في ذلك أبحاثاً وتآليف.

وما جديد هذه الدراسة إلا رسم سبيل يوصل إلى جنان مفتحة وخزائن مزالة أقفالها، يأخذ منها كل بحسبه من مدخر الأسرار واللفتات والدلالات.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين ، وخاتمة ، وثبت بالمصادر والمراجع ، على النحو التالي :

الفصل الأول: نبذة عن الاقتران عند أهل العلوم ، والمؤلفات في الحقل القرآني، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الاقتران عند الأصوليين .

المبحث الثاني: دلالة الاقتران عند أهل علوم القرآن.

المبحث الثالث : أهم الدراسات القرآنية في موضوع الاقتران.

المبحث الرابع : تعريف الاقتران الموضوعي.

الفصل الثاني : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء ، وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في العهد المكي، وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: آيتا سورة الأنعام [٩٢ – ٩٨].

المطلب الثاني: آيتا سورة الرعد [١٧ – ١٩].

المطلب الثالث: آيتا سورة إبراهيم [١ – ٣٢].

المطلب الرابع : آيتا سورة الحجر [١٨ – ٢٢].

المطلب الخامس: آيتا سورة النحل [٦٤ – ٦٥].

المطلب السادس: آيتا سورة العنكبوت [٥١ – ٦٣].

المطلب السابع: آيتا سورة الفرقان [١ – ٤٨].

المطلب الثامن: آيتا سورة الكهف [١ – ٤٥].

المطلب التاسع: آيتا سورة الزمر [٢١ – ٢٣].

المطلب العاشر: آيتا سورة فصلت [٣٩ – ٤١].

المطلب الحادي عشر: آيتا سورة الشورى [١٧ – ٢٨].

المطلب الثاني عشر: آيتا الواقعة [٦٩–٨٠].

المبحث الثاني : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في السور المدنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آيتا سورة البقرة [٢٢–٢٣].

المطلب الثاني: آيتا سورة النور [٣٤ – ٤٣].

منهج البحث:

١– تتبعت مواطن اقتران النزولين وحصرتها في السور المكية ثم المدنية ، ورتبتها حسب ترتيب المصحف.

٢ – عدت في كل سورة قرآنية ورد فيها هذا الاقتران النزولي إلى كتب التفاسير التي تعنى بالمناسبات واللطائف واللفتات البيانية والبلاغية ، وكذا إلى بعض الحواشي المشهورة على تفسير البيضاوي وغيره ، وإلى ما ألف في علم المناسبات القرآنية، مع تأمل متسع بغية الظفر بجديد الهدايات والحكم.

٣ – معرفة سياقات النزولين ومناسبات كل آية بما قبلها – إن وجدت – وروابط الآيات وسبكها مع آيات النزول.

٤ – كان عودي لتصانيف أهل العلم في جمع نكات الآيات ومودعات أسرارها ولطائفها ، مرتبا ما أذكره ابتداء بالمناسبات ثم الدلائل والفرائد والملح.

٥ – في حال ورود نزول القرآن متعدداً في السورة فإن العبرة والمدار على الموطن المقارن لنزول الغيث إما بعده وإما قبله.

٦– اقتصرت في ذكر المعاني على ما أنبت نكتة أو ملحة مستعذبة ، فليس من مقاصد الدراسة بسط أقوال المفسرين في ما اختلفوا فيه من معانٍ.

٧– كتابة النص حسب القواعد الإملائية ، مراعياً علامات الترقيم.

٨– كتابة الآيات القرآنية حسب رسم المصحف العثماني ، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية بجانب الآية في المتن.

٩– التعليق على المسائل والقضايا العلمية ، وأختم المبحث بما ظهر لي من لطائف حسب ما يهبه الله ويمنحه.

١٠- وثقت النقولات من مصادرها الأصيلة .

١١- ذيلت البحث بخاتمة وفهرس للمصادر.

* * *

المبحث الأول: دلالة الاقتران عند الأصوليين.

يبحث الأصوليون دلالة الاقتران تحت: دلالات الأدلة المختلف فيها[1].

ولهم تعريف للدلالة ، وبينهم خلاف في هذه الدلالة من حيث حجتها وعدمه، وهي عندهم بلفظ: الاقتران أو القرائن أو القِران كما هي عبارة القاضي أبي يعلى[2].

ومعناها عندهم:

أن يدخل حرف الواو بين جملتين تامتين، كل منهما مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل بلفظ يقتضي الوجوب في الجميع أو العموم في الجميع[3]، ولا مشاركة بينهما في العلة ولم يدل دليل على التسوية بينهما.

وقيل هي: **أن ذكر الله تعالى أشياء في لفظ واحد ويعطف بعضها على بعض.**

أو هي: **أن يذكر الله أشياء في لفظ ويعطف بعضها على بعض[4].**

وهذا متطابق وما قبله[5].

وقيل: **أن يقرن الشارع بين شيئين لفظاً لا يقتضي تسوية بينهما في غير المذكور إلا بدليل[6].**

أما الخلاف في حجية دلالة الاقتران، فالقاضي أبو يعلى يرى أنه استدلال جائز وعضد هذا بنصوص عن الإمام أحمد تفيد استدلاله بها[7].

أما حجية هذه الدلالة فمختلف فيها:

---

(١) انظر: البحر المحيط للزركشي ٦/ ٩٩، شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣/ ٢٥٧-٢٥٩.

(٢) العدة في أصول الفقه ٤/ ١٤٢٠، شرح الكوكب المنير ٣/ ٢٥٩.

(٣) البحر المحيط للزركشي ٦/ ٩٩.

(٤) العدة لأبي يعلى ٤/ ١٤٢٠.

(٥) المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ص ١٤١.

(٦) شرح الكوكب المنير ٣/ ٢٥٩.

(٧) العدة ٤/ ١٤٢١.

فجمهور العلماء على أن هذه الدلالة ضعيفة ، قالوا: لأن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم.

وأن الشركة في المتعاطفات الناقصة المحتاجة إلى ما تتم به، فإذا تمت بنفسها فلا مشاركة، والأصل في كل كلام قام أن ينفرد بحكمه ولا يشاركه غيره فيه.

فمن ادعى خلاف ذلك في بعض المواضع فلدليل خارجي، فالدلالة ليست للاقتران ، بل لدليل خارجي[1].

قال السرخسي: ومن ذك ما قاله بعض الأحداث من الفقهاء أن القِران في النظم يوجب المساواة في الحكم، وبيان هذا في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلۡحَجِّ** ﴾ (البقرة : ١٩٧) ، فإن هذه جمل قرن بعضها ببعض بحرف النظم وهو الواو،وقالوا: يستوي حكمها في الحج... ثم قال معقباً على مقالة: إن القِران في النظم دليل على المساواة في الحكم، وعندنا هذا فاسد، وهو من جنس العمل بالمسكوت وترك العمل بالدليل لأجله، فإن كلاً من الجمل معلوم بنفسه، وليس في واو النظم دليل على المشاركة بينهما في الحكم، وإنما ذلك في واو العطف... إلخ ، **ثم ساق التفريق بينهما**...[2].

أما من يحتج بدلالة الاقتران ويرى اعتبارها فإن أظهر ما يستدلون به على تلك الدلالة هي آية ﴿ **وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةً** ﴾ (النحل : ٨).

---

(١) التبصرة للشيرازي ٢٢٩، ٢٣٠، البحر المحيط للزركشي ٦/ ٩٩ – ١٠٠، شرح الكوكب المنير ٣/ ٢٥٩، إرشاد الفحول للشوكاني ٢/ ١٠١٣، ١٠١٤.

(٢) أصول السرخسي ١/ ٢٧٣ – ٢٧٤.

وبقول أبي بكر – رضي الله عنه – في مانعي الزكاة: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، وإنها لقرينتها في كتاب الله(١).

وبما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي أخذ وجوب العمرة من قِرانها بالحج وقال: والله إنها لقرينتها في كتاب الله ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦) (٢)، وأصحاب هذا القول طائفة من أهل العلم كالقاضي أبي يعلى، والمزني، وابن أبي هريرة من الشافعية، وأبي يوسف من الحنفية، وحُكي عن بعض المالكية(٣).

ولابن القيم كلام في حجية دلالة الاقتران ملخصه أنها تقوى في مواطن، وتضعف في مواطن، وتتساوى الأقران في مواطن، فإذا جَمَع المقترنين لفظ اشتركا في إطلاقه وافترقا في تفصيله، قويت الدلالة... وتظهر ضعف دلالة الاقتران عند تعدد الجُمَل واستقلال كل واحدة منهما بنفسها... وموطن التساوي حيث كان العطف ظاهراً في التسوية وقصد المتكلم ظاهراً في الفرق، فيتعارض ظاهر اللفظ وظاهر القصد، فإن غلب ظهور أحدهما اعتبر، وإلا طلب الترجيح(٤)(٥).

---

(١) أصل حديث أبي بكر في البخاري كتاب الزكاة – باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى (وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ) (١٣٩٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب / أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢٠)، لكن محل الشاهد ذكره ابن القيم في كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٢٧.

(٢) أخرجه الشافعي في الأم ٣/٣٢٧ [٩٨٠] بل علقه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب العمرة، وجوب العمرة وفضلها ٣/٢، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/٥٧٢، ٥٧٣ [٨٧٦٤].

(٣) العدة للقاضي أبي يعلى ٥/١٤٢٠، ١٤٢١، التبصرة للشيرازي ص ٢٢٩ – ٢٣٠، أصول السرخسي ٢٧٣/١، ٢٧٤، البحر المحيط ٦/٩٩ – ١٠١، شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣/٢٥٩ – ٢٦٢.

(٤) بدائع الفوائد ٤/١٦٢٧ – ١٦٢٩.

(٥) للاستزادة حول هذه الدلالة ينظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور / محمد المبارك، رسالة دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة بجامعة الإمام – مطبوع.

دلالة الاقتران عند الأصوليين، دراسة أصولية تحليلية تطبيقية، أفلح الخليلي، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

المبحث الثاني: دلالة الاقتران عند أهل علوم القرآن

كان مجال اهتمام المفسرين والبلاغيين ومن عُني ببلاغة القرآن وبيانه نحو نوع من أنواع الاقتران وهو **الاقتران اللفظي**، حين كثر تلازم تلكم مفردات قرآنية وانضمام بعضها لبعض في مواطن متفرقة من الكتاب.

إذ لاحظوا كثيرا من الاقترانات اللفظية من مثل: الليل والنهار، السموات والأرض، السمع والبصر، الظلمات والنور، أو في اقتران أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات ومنتهى التواصل.

وتوزعت عدة فنون هذا التوجه وتلك العناية بمثل هذه المقترنات القرآنية فكان منها ما يلي:

١– علم المقدم والمؤخر فهو قائم على مراتب مفردات الكتاب وألفاظه من حيث التقديم والتأخير، ولازم تلكم المفردات تلازم اقترانها إما غالباً أو مطرداً ثم قدمت وأُخرت.

من هنا نقَّب البحثة عن أسرار ما قدم وأخر، وخرجوا بحصيل بليغ من لطائف القرآن وبيانه[1].

٢– ومن مظان الاهتمام بدلالات الاقتران وورود لطائف ذلك ودقائقه علم **متشابه القرآن** اللفظية حيث استخرجت موارد ما تشابهت فيه آيات الكتاب تشابهاً لفظياً

(١) أبرز الدراسات المعنية بأسرار التقديم والتأخير، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، د /منير محمود المسيري، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د / علي أبو القاسم عون، التعبير القرآني، د /فاضل السامرائي.

وأحصيت وضبطت ثم شُرع في بيان أسرار ذلك واستنهاض التأملات البديعة للوصول إلى حِكَم تلازم مفردات بعينها، ثم تقديمها في سورة وتأخيرها في أخرى[1].

٣ – كتب التفاسير، فلأهلها عناية بالغة بحَلى تصانيفهم وترصيعها بفرائد ما تلازم اقترانه من المفردات وما استنبط من لطائف لها، ولابن القيم – رحمه الله – مساعٍ عظيمة في وجوه الاقتران ونكاته حشا مؤلفاته بشيء مدهش توصل إليه بنظره وعلمه وغوصه في أعماق الآيات.

ومن أمثلة ذلك: استنباطه معاني تقديم السمع على البصر، والسماوات على الأرض، والظلمات والنور، والغفور والرحيم، والسجود والركوع، وأمثالها[2].

ومنهم أبو حيان إذ يقول في آية البقرة: [١٢٥]:

وقدم الركوع على السجود ؛ لتقدمه عليه في الزمان[3].

وفي آل عمران أطال في تعليل تقديم السجود على الركوع، في قصة مريم بنت عمران مخالفة سائر المواضع المتقدم فيها الركوع على السجود[4].

وقال الفيروزآبادي في سر تقديم النصارى على الصابئين في سورة البقرة، لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة، لأنهم أهل كتاب فقدمهم في البقرة، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في الحج[5].

---

(١) من أهم المؤلفات في ذلك: ملاك التأويل لأبي جعفر الغرناطي (٧٠٨هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني (٥٠٥هـ)، درة التنزيل للخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ).

(٢) بدائع الفوائد ١/١٠٧–١١١.

(٣) البحر المحيط ١/٥٥٤.. وقال عن آية آل عمرن (٤٣): ولا يسأل لم قدم السجود على الركوع إلا من جهة علم البيان ٢/ ٤٧٧، ٤٧٨.

(٤) البحر المحيط ٢/٤٧٧ – ٤٧٨.

(٥) بصائر ذوي التمييز ١/١٤٤– ١٤٥.

ومما عند الآلوسي: وتقديم الشمس على القمر؛ لما جرت عليه عادة القرآن إذا جمع الشمس والقمر[1].

وعند قول الله عز شأنه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (الأنفال: ٢٨) يقول ابن عاشور: فتقديم الأموال؛ لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام، وعطف الأولاد على الأموال؛ لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة[2].

وفي خاتمة سورة "المنافقون" قال: وقدم ذكر الأموال على الأولاد؛ لأنها أهم بحسب السياق[3].

ففهم من هذا العرض الموجز أن دلالة الاقتران لها مقامات: أولها في حصول هذا التلازم وقِران الألفاظ بعضها ببعض، ثم في معاني ذلك ودقائق أسراره في المقام الثاني، وفي المقام الثالث: تنوع اقتران المفردات تقديماً تارة وتأخيراً تارة أُخرى، وما يمكن اقتناصه من بدائع في كل موضع.

وتحصل أيضاً علاقة الاقتران اللفظي وإيحاءاته منظومةً في سلك علوم قرآنية شتى، وهي:

علم المقدم والمؤخر، ومتشابه القرآن، ومناسبات القرآن، ولنعط مثلاً بآية متقدم من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٦٢).

---

(١) روح المعاني ١٢/ ١٧٩.

(٢) التحرير والتنوير ٩/ ٣٢٤ – ٣٢٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٥٠.

قال الكرماني في **متشابه القرآن**: وقال في الحج ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وقال في المائدة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ؛ لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة، لأنهم أهل كتاب فقدمهم في البقرة، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان ؛ لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في الحج، وراعى في المائدة المعنيين[1].

وفي **قطف الأزهار** للسيوطي: وقدم هنا النصارى على الصابئين ؛ لأن لهم كتاباً بخلافهم فقدم الأشرف ، وعكس في آية المائدة ؛ تقديماً للأقدم زمناً..[2].

وبمثل هذا كان توجيه الفيروزآبادي[3].

أما ما قاله المهتمون بالمقدم والمؤخر عن نكات القرآن في هذا الموضع من البقرة ونظائره في السور الأخرى فيطلب من دواوين التفسير، قال الزمخشري عن نظير الآية السابقة الواردة في سورة المائدة: فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟، قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يثاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح[4].

علماً أن الرازي له جملة ذات أبعاد مهمة في آية البقرة حين يقول بعد أن بين الفروق بين ما أتى في **البقرة والمائدة والحج** : فهل في اختلاف هذه الآيات بتقديم الصفوف وتأخيرها ورفع "الصابئين" في آية ونصبها في أخرى فائدة تقتضي ذلك؟

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن ٢٢ .

(٢) قطف الأزهار ٢٦٦/١.

(٣) بصائر ذوي التمييز ١٤٤/١ – ١٤٥.

(٤) الكشاف ٢٧٣/٢.

والجـواب: لمـا كـان المـتكلم أحكـم الحـاكمين فلابـد لهـذه التغييـرات مـن حِـكـم وفوائـد، فإن أدركنا تلك الحكم فزنا بالكمال، وإن عجزنا أحلنا القصور على عقولنا لا على كلام الحكيم، والله أعلم[1]. اهـ

وفائدته هذه أجل وأمتن من تقرير نكتة التقديم والتأخير بعينها، والله أعلم.

* * *

(1) التفسير الكبير ٣/ ١١٣.

المبحث الثالث: أهم الدراسات القرآنية في موضوع دلالات الاقتران.

مما خُص به الاقتران من تآليف وأبحاث معاصرة ما أودع المكتبة القرآنية وزاد من غناء البيان القرآني، ومنها:

١ – منة الحليم المنان في اقتران ألفاظ القرآن، كتاب مطبوع، د / أحمد العجمي والشيخ محمد خليل.

٢ – أنواع الاقترانات المتعلقة بالقرآن العظيم، دراسة نظرية تطبيقية، فضيلة الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى ١٤٣٣هـ.

٣ – الاقتران الثنائي بين أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، ألفاظه ودلالاته، فخري أحمد سليمان الحريسي، جامعة الموصل، رسالة ماجستير ١٤١٨هـ.

٤–الدلالة السياقية لاقتران أسماء الله الحسنى في خواتيم الآيات القرآنية، د / هانم محمد الشامي، كتاب مطبوع بمكتبة الآداب بالقاهرة.

٥ – اقتران الصلاة والزكاة في القرآن الكريم، الأساليب والحكم والفوائد، د / العباس الحازمي، بحث علمي منشور بمجلة تبيان، العدد العاشر.

٦ – اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة، حصرها – معانيها – مناسباتها. سليمان بن قاسم العيد، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٣٤.

٧ – اقتران الجهاد بالمال بالجهاد في النفس في القرآن، حكم وأسرار، مجلة البيان، مقالة للباحث: توفيق علي زيادي، لندن، ٢٠١١م.

٨ – اقتران الأموال والأولاد في القرآن، حكم وأسرار، مقالة في مجلة البيان، توفيق علي زيادي، لندن، ٢٠١١م.

٩ – مواضع الاقتران في القرآن الكريم بين اسم الله تعالى والرسول محمد (وعد الله ورسوله)، د / عبدو علي الحريري، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد (١٣)، ٢٠٠٢م.

* * *

المبحث الرابع : تعريف الاقتران الموضوعي.

الاقتران لغة: مأخوذ من القَرَن يقال: قارن الشيءُ الشيءَ مقارنة وقِراناً اقترن به وصاحبه.

واقترن الشيء بغيره، وقارنته قِراناً: صاحبته.

ومنه قِران الكوكب، وقرنتُ الشيء بالشيء : وصلته، والقرين المصاحب.

والقَرَن حبل يُقرن به البعيران والجمع أقران وهو القِران وجمعه قُرُن.

ومنه القِران: وهو أن تجمع بين العمرة والحج في نسك واحد في سفر واحد[1].

قال الراغب عند مادة (قرن): الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني[2].

فدارت مواد قَرَن على معنى الجمع والمصاحبة كما هو ظاهر المشتقات منها مفرداتٍ وكلماتٍ.

معنى الاقتران الموضوعي:

دارت مجمل الدراسات المخصوصة بالاقتران على محورين:

إما الاقتران اللفظي.

وإما الاقتران الحرفي، فإن أهل العربية من بين من درس الاقتران وهو يرادف مصطلح "التلازم" ومفهومه لديهم أوسع من مجرد اقتران لفظين أو ألفاظ فحسب، بل يدخل فيه تلازم الحروف واقترانها بالألفاظ والجمل والتراكيب، وعرفه بعضهم بقوله:

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٩/٨٦ – ٩٣ (قَرَن)، لسان العرب لابن منظور ٥/٣٦١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٥١٨.

ويقصد بالاقتران هنا: **التلازم بين مفرد نحوي ومفرد نحوي آخر أو أكثر، أو بين مفرد نحوي وجملة، أو بين مركب ومفرد، أو بين أسلوب وآخر أو أكثر، أو بين جملة فرعية وأخرى رئيسة في موضع واحد، أو وظيفة، أو حكم، أو معنى، أو غير ذلك**[1].

ومن أنصع الدراسات الحديثة في هذا :

١ – اللغة العربية معناها ومبناها، د / تمام حسان.

٢ – ظاهرة التلازم في الأسماء في العربية، إبراهيم مسعود الفيفي.

وهذه الدراسة التي اختطتُها أزعم أنها ضرب جديد يكشف عن وجه من وجوه الاقتران، وهو **الاقتران الموضوعي** الذي يتجاوز الاقتران اللفظي المعتنى به إلى تلازم موضوعات وقضايا في السورة القرآنية الواحدة.

وحرض على هذا التتبع والتنقيب وبعث الهمة إليه ما رؤي من كثرة قِران ذكر نزول القرآن بنزول الغيث والماء في نحو أربعة عشر موضعاً، مما ينبئ عن أن في طيات ذلك ما فيه من النِّكات والوجوه الحسان.

فأما ضوابط هذا الاقتران الموضوعي فما يلي:

١ – ورود الحديث عن القرآن والغيث السماوي مقروناً بلفظ الإنزال كيفما تصرف منه.

٢ – أن يرد القِران في السورة الواحدة.

٣ – لا يشترط الاقتران المتصل بحيث لا يفصل بينهما فاصل، فمثل الاتصال بين النزول لا يكاد يتحقق إلا في آية البقرة المدنية أو في شاهد سورة فصلت أو الزمر فإن ما بين النزولين في السورتين ذا صلة وثيقة بنزول القرآن الذي سبقه نزول غيث السماء.

---

(١) علاقات الاقتران في الجملة العربية، دراسة في الفكر النحوي والدراسات اللغوية الحديثة ص ٩، د / محمد رجب محمد الوزير.

٤ – تناوب في مجمل السور تقدم نزول القرآن حيناً ونزول الغيث أحياناً، فلا يلزم اطراد تقدم أحد النزولين ولا أغلبه، وذاك أمر يفرضه واقع النزولين في السور القرآنية.

وعليه فتعريف الاقتران الموضوعي مفرعاً على الضوابط السالفة التي مهدت دراسة اقتران النزولين في سور القرآن:

(اقتران موضوعين في السورة الواحدة على وجه متصل أو منفصل متقدم أو متأخر).

وإيضاحاً، فالدراسة هذه اقترن فيها موضوعان هما / نزول القرآن، ونزول الغيث، وكل أفراد هذا التتبع للاقتران جاءت بلفظ النزول بمختلف ما تصرف منه فعلاً أو مصدراً، وما فقد هذا الشرط خارج عن الدراسة كما لو جاء ذكر القرآن مجرداً عن معنى النزول، وهذا يصدق على أمثلة منها ماورد في سورة يونس (٢٤) ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٣٧)، وماجاء في سورة النمل(٦٠) ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦).

والله تعالى أعلم.

* * *

الفصل الثاني: اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء ،

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في العهد المكي

المطلب الأول : آيتا سورة الأنعام

وهما: قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٩٩].

هاتان الآيتان في سورة الأنعام المكية، وجاء ذكر إنزال القرآن متقدماً على إنزال ماء السماء فصل بينهما سبع آيات، فأما قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ فمناسبته لما قبله من رد مقالة اليهود وبهتانهم ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، يقول السيوطي:

لما قرر بطلان قولهم ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ وأثبت إنزاله كتاب موسى المتفق عليه عند الخصم، عطف على إنزال هذا القرآن؛ لأنه يستلزم من تسليم إنزال التوراة إنزال القرآن بجامع أن الله قادر على الإنزال ا.هـ[1].

فهذه الآية المقررة جملة من أوصاف القرآن العظيم مسبوق بمقالة اليهود المكذبين نزول وحي على البشر ورد مفحم بما أنزله الله على موسى في لون من الجدل القرآني الذي يوقن به الخصم ولا يمكن جحده، ثم إخبار عن نزول القرآن ههنا من مشكاة واحدة ، والتسليم بنزول التوراة مستلزم الإيمان بنزول القرآن، فمن أنزل الأول لا يعجزه إنزال غيره.

---

(١) قطف الأزهار ص ٩٠٨.

ثم عقب ذلك وعيد وتهديد لمن ادعى النبوة وزعم أنه يوحى إليه وهو مدعٍ أفاك، أو قال : سأنزل مثل ما أنزل الله.

وقال الرازي: اعلم أنه تعالى لما أبطل بالدليل قول من قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍ﴾ ذكر بعده أن القرآن كتاب الله أنزله الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام[1].

قال شيخ زاده في حاشيته: وبعدما أبطل قول من قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍ﴾ وبين كون القرآن كتاباً نازلاً من عنده وبين شرفه ورفعته ذكر وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذباً وافتراء... إلخ[2].

النكات واللطائف:

أبحر أهل العلم في مكنونات هذه الآية الكريمة محصلين جملة من اللطائف القرآنية والبيانية، فكان من ما عقلوه منها:

(1) – كان السياق أن يقال: (**أنزل الله**) ولكنه أتى بنون العظمة ؛ لأنها أدل على تعظيمه[3].

(2) – قدم وصف الإنزال للقرآن على وصفه بالبركة ، وفي نكتة ذلك يقول أبو حيان: لما كان الإنكار إنما وقع على الإنزال فقالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وقيل: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ كان تقديم وصفه بالإنزال آكد من وصفه بكونه مباركاً.

ولأن ما أنزل الله تعالى فهو مبارك قطعاً ، فصارت الصفة بكونه مباركاً كأنها صفة مؤكدة إذ تضمنها ما قبلها. ا.هـ[4]

---

(1) نظم الدرر للبقاعي ٧/ ١٨٧.

(2) حاشية شيخ زاده على البيضاوي ٤/ ٩٥، وكلامه هذا محصلة ما ذكره الرازي قبل في وجه الربط بين الآيتين، التفسير الكبير ١٣/ ٨٨.

(3) البحر المحيط ٤/ ١٨٣.

(4) البحر المحيط ٤/ ١٨٣.

قلتُ: وهذا ملمح في غاية السنا والظهور.

(٣) – عبر عن الإنزال بالفعل ؛ لكونه نزولاً متجدداً، بينما وصفه بالبركة وصف ثابت لا يفارقه، فعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت[١].

(٤) – جاءت الصفات التي وصف بها الكتاب عرية عن حرف العطف ثم جيء به على وصف الإنذار ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فقيل : هو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قال: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتاب وللإنذار[٢].

وقال البيضاوي بعد ذكره الوجه الأول: أو علة المحذوف أي: ولتنذر أم القرى أنزلناه[٣]، ومثله تقدير أبي حيان[٤].

قال الشهاب الخفاجي موضحاً نكتة ذلك: لأن جملة (**وأنزلناه لتنذر**) معطوف على (**أنزلنا**) الواقع صفة ، فالظاهر أن الحامل على هذا أن اللفظ والمعنى يقتضيه.

أما المعنى ؛ فلأن الإنذار علة لإنزاله، كما قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ (**الأنعام : ١٩**) ولو عطف لكان على أول الصفات على القول الأصح ، ولا يحسن عطف التعليل على المعلل به ولا الجار والمجرور على الجملة الفعلية ؛ لأنه يظن: (هذا رجل أقام عندي وليخدمني) ولا يخفى قبحه، ومنه يعلم الحامل اللفظي، وليس تقديم الجار فيه للحصر ؛ لأنه فهم من الجملة السابقة علة أخرى ككثرة البركة، بل للاهتمام لأن الإنذار مقتضى المقام أو الحصر إضافي ، ويصح أن يقدر: لتبشر ولتنذر[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٨٥/١٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٧١/٢، البسيط للواحدي ٢٨٢/٨، الكشاف ٣٧١/٢ .

(٣) تفسير البيضاوي ٥٠٤/١ .

(٤) البحر المحيط ١٨٣/٤.

(٥)حاشية الشهاب الخفاجي: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٩٦/٤.

(٥) – قال البقاعي: فالآية من عجيب فن الاحتباك، ذكر الإنذار والأمر أولاً دالاً على حذفهما ثانياً، وإثبات الإيمان والصلاة ثانياً دليل على نفيهما أولاً[١].

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة خمس صفات للقرآن:

فهو كتاب، منزل، مبارك، مصدق لما قبله من الكتب السماوية، ومنذر لمن أُنزل إليهم.

(٦) – ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ من آمن بالآخرة وما فيها من أفانين العذاب آمن بالكتاب؛ لأنهم يخافون العاقبة، ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به[٢].

وقال بعضهم: أصل الدين خوف العاقبة، فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن[٣]، وقال بعضهم كذلك: ؛لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف والرجاء، والكفر بها حامل على كل شر[٤].

الآية الثانية / ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [٩٩].

سياق هذه الآية ورد عقب جملة من الدلائل الكونية التي تفرد المولى بها خلقاً وإيجاداً وتصريفاً لآيات سماوية وأرضية.

---

(١) نظم الدرر ٧/١٨٨، الاحتباك كما عرفه الزركشي وسماه – الحذف المقابلي – هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، البرهان ٣/١٢٩.

وقال عنه السيوطي: وهو من ألفط الأنواع وأبدعها وقلّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل البلاغة، معترك الأقران ١/٢٤٢ – ٢٤٣، وانظر/ معجم المصطلحات البلاغية، د/ أحمد مطلوب ١/٥٥.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/٢٥٠.

(٣) الكشاف ٢/٣٧١ – ٣٧٢.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٧/١٨٨.

وفي هذا يقول السيوطي رحمه الله: وقع ترتيب الآيات الثلاث على الواقع، وهو نظير ما وقع أول السورة، فبدأ بخلق الأجرام الفلكية، ثم بخلق الإنسان، وبيان أجليه ثم بما يقوم به أود الإنسان في حياته. ا.هـ[1]

وهذه الآية ثالثة بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ثم هذه الآية.

يقابلها في أول الأنعام (١) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ (٢)، وثالثها: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ (٦).

قلت: سيأتي في خاتمة هذا المبحث نتاج تتبع حديث السورة عن القرآن الكريم وقد تكرر ذكره في أولها وخاتمتها ووسطها ؛ مؤكداً تطابقاً مع ما قرره السيوطي ونبه عليه بكل براعة.

وهذه الآية بما فيها من دلالة القدرة وعجيب الصنعة جاءت بعد ذكر خلق الأنفس من نفس واحدة وما تقدمها من آيات الكون الفلكية والأرضية.

قال أبو حيان: لما ذكر إنعامه تعالى بخلقنا ذكر إنعامه علينا بما يقوم به أودنا ومصالحنا[2].

وقال البقاعي: ولما ذكر وجوه الإبداع التفريعي من هذين الكونين وأسباب البقاء له بما ينشأ عنه الفصول وغيرها أتبعه سببه القريب وهو الماء الذي جعل منه كل شيء

---

(١) قطف الأزهار ٩١٥، وكرر هذا بعبارات ملخصة في تناسق الدرر في تناسب السور ص ٨٣ – ٨٤.

(٢) البحر المحيط ٤/١٩٢.

حي، فقال مفصلاً ما أجمله في الحب والنوى سائقاً له مساق الإحسان لما قبله من الدلائل[1].

النكات واللطائف:

(١) – ما ساقه القرآن في نزول غيث السماء وما يخرج به من ألوان الثمار وأصناف النباتات والشجر دلائل على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته، وهي في الأمر عينه نعم بالغات وإحسان كامل.

وفي هذا يقول الرازي: واعلم أن هذه الدلائل كما أنها دلائل، فهي أيضاً نعم بالغة وإحسانات كاملة، والكلام إذا كان دليلاً من بعض الوجوه، وكان إنعاماً وإحساناً من سائر الوجوه كان تأثيره في القلب عظيماً[2].

ومثل هذا نقله نصاً شيخ زاده في حاشتيه[3].

وبنحوه عند البقاعي[4].

فالآية متضمنة نعمة ضمن نِعَم سابقة وتالية[5]، وهي مسوقة لتقرير أدلة قاطعة بوحدانية الله وتفرده بالألوهية.

ولذا حثوا المشتغلين بدعوة الخلق على سلوك هذا المسلك ليكون للقلوب أملك[6]، قال الرازي: وعند هذا يظهر أن المشتغل بدعوة الخلق إلى طريق الحق لا ينبغي أن يعدل عن هذه الطريقة[7].

---

(١) نظم الدرر ٧/ ٢٠٨.
(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١١١.
(٣) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤/ ١٠٤.
(٤) نظم الدرر ٧/ ٢٠٨.
(٥) نص طائفة على أنه نعمة في منظومة نعم وهي كذلك نعمة ودليل ومنة وآية، إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٥، روح المعاني ٧/ ٢٣٧.
(٦) نظم الدرر ٧/ ٢٠٨.
(٧) التفسير الكبير ١٣/ ١١١.

(٢) – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ فيه التفات، قاله السيوطي[١].

وتوضيحه أن قبله ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ فانتقل من الخطاب إلى الغيبة.

(٣) – ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيماً له[٢]، وقيل: إلتفات إلى التكلم ؛ إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي: فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته[٣].

وعدل عن ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا ﴾ على طريق الإلتفات[٤].

(٤) – افتتح هذه النعمة في غرض الاستدلال بصيغة القصر ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ والقصر حاصل من تعريف المسند والمسند إليه[٥].

وأمر نزول الماء وهمي الغيث متفرد به المولى عز وجل ليس إلى أحد شيء من ذلك، وذلك مظهر من مظاهر الربوبية.

(٥) – ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.

إما أن تكون الإضافة إضافة بيانية على معنى: أن **النبات** الرزق وما يصلح غذاء لكل شيء فيكون ﴿كُلِّ شَىْءٍ ﴾ مخصوصاً بالتغذي.

---

(١) قطف الأزهار ص ٩١٥.

(٢) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤/ ١٠٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٥، ونقله الألوسي في تفسيره بلفظه ٧/ ٢٣٨.

(٤) التحرير والتنوير ٧/ ٣٩٨ ، وانظر: الدر المصون ٥/ ٦٧.

(٥) التحرير والتنوير ٧/ ٣٩٥ – ٣٩٨.

وإما أن تكون الإضافة راجعة إلى المعنى إلى إضافة ما يشبه الصفة إلى الموصوف ووجه المعنى في **النبات** على هذا: جميع ما ينمو من الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك ؛ لأن ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء[1].

(٦) – ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ﴾ صيغة المضارع ؛ لاستحضار الصورة بما فيها من الغرابة[2].

(٧) – ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

اختلفت أصناف النبات مع وحدة الماء، لأن كثرة صنوف المسببات وافتنانها مع وحدة السبب وهو الماء أدخل في مقصود المقام ، وهو بيان كمال قدرة الله تعالى وحكمته[3].

وقيل : دلالة على القدرة والاختيار، وكان السياق لإثبات الوحدانية ونفي الشريك بإثبات كمال القدرة التي هي منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ؛ لأنه لا يكون إلا مشابهاً لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، وللبعث ، فكان المراد التفكر في ظواهرها وتقلباتها من العدم إلى الوجود وبعد الوجود ، ولمحاجة أهل الكتاب الموسومين بالعلم المنسوبين إلى حدة الأذهان وغيرهم[4].

(٨)﴿قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾.

ذكرها دون السحوق ؛ لأن النعمة بها أظهر، أو السحوق لدلالة الدانية عليها كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ (النحل : ٨١)[5].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣٤٧/١ ، البحر المحيط ١٩٢/٤، الدر المصون ٥ /٦٨.

(٢) روح المعاني ٧ /٢٣٨.

(٣) حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٤ /١٠٥.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٧ /٢١٢، ٢١٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢ /٢٧٥، ومعاني القرآن للنحاس ٢ /٤٦٤، والتفسير الكبير للرازي ١٣/ ١١٤، البحر المحيط ٤ /١٩٢.

وقيل: وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها ؛ لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها [1]، سوهذا موافق لما ذكره الزجاج وغيره قبلُ، ومثله عند أبي السعود في تفسيره[2]، وقيل : ذكر القريبة وترك البعيدة لأن النعمة في القريبة أكمل وأكثر[3]

وقيل: خصت بالذكر هنا إدماجاً للمنة في خلال التذكير بإتقان الصنعة، فإن المنة بالقنوان الدانية أتم.... ولا حاجة لذكر البعيدة التناول ؛ لأن الذكرى قد حصلت بالدانية وزادت بالمنة التامة[4].

(٩)– ذكر أربعة أنواع من الأشجار: **النخل والعنب والزيتون والرمان**، وفي هذا يقول الرازي: إنما قدم النخل على الشجر؛ لأن الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه، والغذاء مقدم على الفاكهة، وإنما قدم النخل على سائر الفواكه ؛ لأن التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب ، ولأن الحكماء بينوا أن بينه وبين الحيوان مشابهة في خواص كثيرة بحيث لا توجد تلك المشابهة في سائر أنواع النبات[5].

وإنما ذكر العنب عقيب النخل ؛ لأن العنب أشرف أنواع الفواكه... ثم طفق يبسط منافع العنب وخواصه... ثم منافع الزيتون ، أما في الرمان فقال: وأما الرمان فحاله عجيب جداً... إلخ[6].

وقرن الزيتون بالرمان في قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ ؛ لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره[7].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥٠٨/١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٥٦/٢.

(٣) حاشية شيخ زاده، تفسير البيضاوي ١٠٦/٤.

(٤) التحرير والتنوير ٤٠١/٧.

(٥) التفسير الكبير ١١٥/١٣، وقريب منه عند البقاعي في نظم الدرر ٢٠٩/٧، ٢١٠.

(٦) التفسير الكبير ١١٥/١٣.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢٧٦/٢.

وخص الرمان والزيتون بالذكر؛ لقربهما منهم ومكانهما عندهم[١].

قال ابن كثير: وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا[٢].

ويعني بهما **النخيل والأعناب**.

وقال ابن عاشور عن **الزيتون والرمان**: هاتان الشجرتان وإن لم تكونا مثل النخل في الأهمية عند العرب إلا أنهما لعزة وجودهما في بلاد العرب ولتنافس العرب في التفكه بثمرهما والإعجاب باقتنائها ذكرا في مقام التذكير بعجيب صنع الله تعالى ومنته[٣].

ومثل هذه اللطائف عند الزمخشري والبيضاوي، وأبي حيان، والبقاعي، والآلوسي[٤].

(١٠) – ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾.

التشابه والاشتباه مترادفان كالتساوي والاستواء، مشتقان من الشبه، والجمع بينهما في الآية للتفنن كراهية إعادة اللفظ، ولأن اسم الفاعل من التشابه أسعد بالوقف لما فيه من مد الصوت بخلاف مشتبه، وهذا من بديع الفصاحة، [٥] ومثله قيل كذلك: اشتبه وتشابه بمعنى كاختصم وتخاصم، واشترك وتشارك فاستعمل كل لفظ في موضع؛ تفنناً وتنويعاً وجمعاً بين اللفظين الجائزين كما هو عادة القرآن[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٤٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١١٩.

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٤٠٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٩، أنوار التنزيل ١/ ٥٠٨، البحر المحيط ٤/ ١٩٤، ١٩٥، نظم الدرر ٧/ ٢١٠، ٢١١، روح المعاني ٧/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٥) التحرير والتنوير ٧/ ٤٠٢.

(٦) قطف الأزهار للسيوطي ص ٩١٧.

وقال البقاعي: الآية من الاحتباك، أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده وهو عدم التشابه، ولأجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه[1].

(11) - ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾.

نبه على حالين آمراً بالنظر فيهما نظر تفكر واعتبار حال الابتداء: وهو وقت ابتداء الإثمار وأول حدوثها، وحال الانتهاء: وهو وقت نضجه؛ لأنه يلزم من مراقبة الأول الآخر، كيف يخرج ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به؛ لأنهما أغرب في الوقوع وأظهر في الاستدلال[2].

وقيل: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾؛ للإشعار بأنه حينئذ ضعيف غير منتفع به فيقابل حال الينع ويدل كمال التفاوت على كمال القدرة[3].

ما مضى جملة من لطائف الآيتين ونكتهما البليغة، وهما واردتان في سورة مكية ومما تحصل من تطواف بين مقاطع السورة أن الحديث عن الكتاب المبين جاء مراراً في ثنايا عرض قضايا العهد المكي.

ففي صدر السورة قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾، ومثله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾.

ثم بعدها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾.

ثم أكد وصف القرآن بأنه كتاب منزل مبارك بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

---

(1) نظم الدرر ٧/٢١٣.

(2) الكشاف ٢/٣٨٠، التفسير الكبير ١٣/١١٧، أنوار التنزيل البيضاوي ١/ ٥٠٨، البحر المحيط ٤/١٩٥.

(3) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٤/١٠٥، وينظر: نظم الدرر للبقاعي فله تقرير بالغ عند هذه الآية ٧/٢١٣.

ولم يرد اسم له في السورة إلا الكتاب ما خلا قوله تعالى في أوائل السورة ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام : ١٩).

ويلاحظ تكرار وصفه بالمبارك بصيغة النكرة ؛ ليعم ويشمل سائر أنواع البركات وصنوف الخيور.

أما الموطن الذي اقترن فيه النزولان نزول الغيث ونزول القرآن فمسوقان في أعظم قضايا جاءت التنزلات المكية تقررها وتنفي عنها شبه المبطلين وتقيم الحجج الدامغة التي لا تبقى معها شبهة ولا تذر.

فبعد ذكر الأنبياء والنبوة وهداهم انتقل السياق إلى الكتاب المنزل ورد دعوى اليهود ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

وانساق التنزل من توعد من افترى وادعى نزول وحي عليه ولم يكن ذلك، وتصوير وقت الموت وبسط الملائكة أيديها لهم بالعذاب إلى الإشارة إلى البعث والنشور ثم الدلائل الكونية والآيات في الآفاق والأنفس والأجرام السماوية والأرضية، ولذا جاءت آية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متوسطة آيات هي نعم ودلائل، وما اجتمع فيه هذان الوصفان كانت النعمة أتم والإحسان أشمل.

وفي قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي : في القنية على حال النبات الذي يخرج من ماء السماء وتنوعه إلى أصناف وأنواع مع اتحاد سببه وهو الماء، ثم انتقالها من حال إلى حال دليل على كمال القدرة ووحدانية المولى عز وجل، وهو دليل على الألوهية وتفرد الله بالخلق وتصريف الأمور.

وهو كذلك آية على القدرة البعث وإحياء الأموات كما إحياء الأرض المجدبة بالنبات، وعليه فانتظمت هؤلاء الآيات قضايا العهد المكي مجتمعة، من النبوة والقرآن إلى دلائل التوحيد الألوهية إلى القدرة على البعث وإحياء الموتى ونشرهم.

المطلب الثاني: آيتا الرعد

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [الرعد: ١٩].

سورة الرعد نزلت بمكة، وفي موطن اقتران النزولين يظهر تقدم إنزال ماء السماء على إنزال القرآن، وبينهما آية واحدة متممة للمثل المضروب بإنزال الماء فليست بمعزل عن ما قبلها ولا ما بعدها.

فأما قوله: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾.

المناسبة:

لما فرغ من تنبهه على قدرة الله تعالى وإقامة الحجة على الكفر به ذكر ما جعله مثالاً للحق والباطل والإيمان والكفر والشك في الشرع واليقين به[1].

وقال البقاعي: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾.

ولما كان حمل الماء في العلو لا يمكن إلا عن قهر وإنزال في وقت دون غيره كذلك أتبع هذا الختم قوله دليلاً مشاهداً عليه.

بمعنى أن امتلاء الأودية مع ما في ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية مما هو مثال للحق والباطل[2].

إذن فالآية امتداد لتقرير الوحدانية ونفي الشبه والشكوك عن الألوهية الحقة وذكر مشارب الناس في قبول الهدى المنزل.

النكات واللطائف:

(١) – ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦.

(٢) نظم الدرر ١٠/ ٣١٤.

ذكر أودية على سبيل التنكير، لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض أودية الأرض دون بعض –بإذن الله – [1].

(٢) – ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾.

من المعلوم أنه لما كان المقصود تمثيل الحق وأهله بالماء النازل من السماء وبعض المياه السائلة في الأرض يتضرر بها الناس ناسب أن يفسر قوله ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ بالقدر الذي لا يتضرر به الناس، ويؤيد هذا التفسير أنه تعالى قال عن هذا الماء السائل في الأودية في مقام التفضيل : ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ فدل هذا التفضيل على أن المراد بالمجمل ما يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ليحصل التطابق بين المجمل والمفصل[2].

وقيل إن هذه المفردة تفيد التفاوت في مقادير المياه، ولذلك حظ من التشبيه وهو اختلاف الناس في قابلية الانتفاع فيما نزل من عند الله كاختلاف الأودية في قبول الماء على حساب ما يسيل إليها من مصاب السيول[3].

(٣)– ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ ﴾.

إتيان التمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان ؛ لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها[4].

(٤) – ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾.

١– أفرد الزبد ولم يُثنِّ وإن تقدم زبدان ؛لاشتراكهما في مطلق الزبدية وهما واحد باعتبار القدر المشترك[5].

---

(١) التفسير الكبير ٣٧/١٩، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٠٤/٢.

(٢) حاشية شيخ زاده على البيضاوي ١١٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير ١١٦/١٣.

(٤) إرشاد العقل السليم ٢١٣/٣.

(٥) البحر المحيط ٣٧٣/٥.

٥ – قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾.

بدأ بالزبد إذ هو المتأخر في قوله: ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ وفي قوله: ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾، ولكون الباطل كناية عنه وصف متأخر.

وهي طريقة فصيحة يبدأ في التقسيم بما ذكر آخراً... وكأنه والله أعلم يبدأ في التفصيل بما هو أهم في الذكر[1].

وقيل كذلك: ولما نبه بهذا الفصل على علو رتبة هذا المثل شرع في شرحه فقال: يبدأ بما هو الأهم في هذا المقام، وهو أبطل الباطل الذي أضلهم، وهو في تقسيمه على طريق النشر المشوش[2].

وأيضاً مما قالوا في هذا الموطن: تقديم الزبد على ما ينفع الناس أن الزبد هو الظاهر المنظور أولاً، وغيره باق متأخر في الوجود لاستمراره، وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما، فإن المعتبر إنما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذاهب لا قبله[3].

وقال ابن عاشور في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: وهذا تمثيل آخر ورد استطراداً عقب ذكر نظيره يفيد تقريب التمثيل لقوم لم يشاهدوا سيول الأودية من سكان القرى مثل أهل مكة وهم المقصود... فقرب إليهم تمثيل عدم انتفاعهم بما انتفع به غيرهم بمثل ما يصهر من الذهب والفضة في البواتق.

... فالكلام من قبيل تعدد التشبيه القريب[4].

---

(1) البحر المحيط ٥/ ٣٧٣.

(2) نظم الدرر ١٠/ ٣١٧.

(3) روح المعاني ١٣/ ١٣٢، وذكر هذا الشهاب الخفاجي في حاشيته ٥/ ٢٣٣.

(4) التحرير والتنوير ١٣/ ١١٨، ١١٩.

٦ – ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾. وتقديم المسند على المسند إليه في هذه الجملة ؛ للاهتمام بالمسند لأنه موضع اعتبار أيضاً ببديع صنع الله تعالى إذ جعل الزبد يطفو على أرق الأجسام وهو الماء وعلى أغلظها وهو المعدن ، فهو ناموس من نواميس الخلقة. فبالتقديم يقع تشويق السامع إلى ترقب المسند إليه[1].

٧ – ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

عدل عن مسميات الذهب والفضة والحديد والنحاس إلى الوصف لنكت متعددة ، فقيل:

أ – تهاوناً بها إظهاراً لكبريائه جل شأنه، وهو لا ينافي كون ذلك ضرب مثل للحق؛ لأن مقام الكبرياء يقتضي التهاون بذلك مع الإشارة إلى كونه مرغوباً منتفعاً به بقوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ فوفى كل من المقامين حقه[2].

ب – أولأنها أخصر وأجمع ، ولأن الغرض في ذكر الجملة المجعولة صلة، فلو ذكرت بكفية غير صلة كالوصفية مثلاً لكانت بمنزلة الفضلة في الكلام ، ولطال الكلام بذكر اسم المعدنين مع ذكر الصلة إذ لا محيد عن ذكر الوقود ؛ لأنه سبب الزبد فكان الإتيان بالموصول قضاء لحق ذكر الجملة مع الاختصار البديع، ولأن في العدول عن ذكر اسم الذهب والفضة إعراضاً يؤذن بقلة الاكتراث بهما ترفعاً عن ولع الناس بهما، فإن اسميهما قد اقترنا بالتعظيم في عرف الناس[3].

٨ – ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ١١٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٤٦، إرشاد العقل السليم ٣/ ٢١٤ ، حاشية شيخ زاده ٣/ ١١٥، روح المعاني ١٣/ ١٣١، ومنهم من لم يرتض أن المقام مقام احتقار وتهاون بها ؛ لأن المقصود تمثيل الحق ، وتحقيرها لا يناسب. انظر: حاشية شيخ زاده ٣/ ١١٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/ ١١٩.

متعلق بمحذوف وقع حالاً من الموصول أي: كائناً أو ثابتاً فيها ، ومنعوا تعليقه بـ **توقدون** ؛ لأنه لا يوقد على شيء إلا وهو في النار، والتعليق بذلك يتضمن تخصيص حال من حال أخرى[١].

وأجاز أبو حيان تعلقه بـ توقدون على سبيل التوكيد[٢].

وقوله: ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ زيادة الجملة ومعلوم أنه لا يوقد على الشيء إلا في النار ؛ للإشعار بالمبالغة في الاعتمال للإذابة وحصول الزبد[٣].

٩ – ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾.

قال ابن عاشور: الإشارة للتنويه بذلك المثل وتنبيه الأفهام إلى حكمته وحكمة التمثيل، بما فيه من المواعظ والعبر، وما جمعه من التمثيل والكناية التعريضية، وإلى بلاغة القرآن وإعجازه وذلك تبهيج للمؤمنين وتحدٍّ للمشركين[٤].

ولابن القيم بحث مطول في معنى هذا المثل وطيب معانيه وغناء هداياته[٥].

الآية الثانية: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

المناسبة : لما افترق حال من أجاب ومن أعرض في الجزاء ، وكان ما مضى مستوفياً طرق البيان بإيضاح الأمر بالجزئيات والأمثلة على الترغيب والترهيب فكان جديراً بترتيب الأثر عليه تسبب عنه الإنكار على من سوى بين العالم العامل وغيره إلتفاتاً إلى قوله:

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/١٦–١٧، البحر المحيط ٥/٣٧٢، الدر المصون ٧/ ٤٠ ، روح المعاني ١٣/١٣٠.

(٢) البحر المحيط ٥/٣٧٢، التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/٧٥٦.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢١٣ ، روح المعاني ١٣/١٣٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٣/١٢١.

(٥)أعلام الموقعين ٢/٢٧٣ – ٢٧٥.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ وسوى بين الحق والباطل إلتفاتاً إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾[1].

﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ﴾ الهمزة للإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل[2].

قلت : ومن مستخرجات اللطائف في هذين النزولين آنه لم يفصل بينهما إلا آية واحدة، وهي قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وذلك منبئة عمن استجاب ومن لم يستجب للمثل المضروب الذي بُين فيه الحق والباطل أبلغ تمثيل ، وما لهم من الجزاء والحساب.

ثم استطرد إلى ذكر من علم الحق المنزل ومن لم يعلمه، وأنهم لا يستوون كمثل الأعمى والبصير، معدداً صفات الفريقين وخاتماً ذاك المقطع بجزائهم، فمن قوله: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ مشابه للمقطع السابق من قوله ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

ففيها فريقان ومصيران ، وجزاءان مختلفان ، وحق وباطل ، وأعمى وبصير.

ومن قوادح المستنبط في هذا الاقتران أن القرآن جاء ذكره في أول السورة بأنه: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (١)، وأنه ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ (١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ (٣١).

وفي قوله عند الخواتم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا﴾ (٣٧)وهو القرآن يحكم في المسائل والقضايا والحوادث بما هو الحق والخير والمصلحة.

فوصف **بالكتاب** ، **والحق**، **والقرآن** ، **والحكم العربي**، وتعددت في آخر السورة ذكر ألفاظ الكتاب ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (٣٩)، ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ (٣٨)، ﴿وَمَنۡ

---

(١) نظم الدرر ٣٢٦/١٠، ٣٢٧.

(٢)أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٠٥/٢، البحر المحيط ٣٧٥/٥.

﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (٤٣)، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ (٣٦)، وليس أياً منها مراداً به القرآن المنزل كما هو مقرر في كتب التفاسير.

المطلب الثالث: آيتا سورة إبراهيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

قال السيوطي : افتتحت سورة إبراهيم بذكر القرآن واختتمت به[١].

الآية الأولى /

قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [١].

ولمناسبتها لما قبلها استخرج السيوطي أمرين صدرهما بأن قوله في مطلعها ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ مناسب لقوله في مقطع تلك ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] على أن المراد بـ (من) هو الله تعالى جل جلاله[٢].

قال أبو حيان: وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً ؛ لأنه ذكر فيها ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانًا﴾ [الرعد: ١٣] ثم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، ثم ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، فناسب هذا قوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ [إبراهيم: ١]. وأيضاً فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾

---

(١) مراصد المطالع للسيوطي ص ٥٢ .

(٢) تناسق الدر في تناسب السور ص ٩٦، وذكر أمراً ثانياً غير ما أورد هنا .

[الرعد: ٢٧]، وقيل له: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].أنزل ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ كأنه قيل أولم يكفهم من الآيات ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1].

وقال البقاعي : لما ختم الرعد بأنه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب ، إشارة إلى أن الكتاب هو الشاهد بإعجازه ببلاغته وما حوى من فنون الكلام وأتى به في ذاك السياق معرفاً....ذكره في أول هذه السورة مُنكرا تنكير التعظيم.[2].

وعدد الألوسي خمسة وجوه من المناسبات بعضها ورد لدى من قبله ، ثم قال: وبقيت مناسبات بينهما غير ما ذكرنا لو ذكرناها لطال الكلام[3].

النكات واللطائف:

(١)﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إنما شبه الكفر بالظلمات ؛ لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية، وشبه الإيمان بالنور؛ لأنه نهاية ما ينجلي به طريق الهداية[4].

والآية جاءت بلفظ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ مجموعاً و﴿ٱلنُّورِ﴾ مفرداً ؛لأن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الخير ليس إلا واحداً ؛ لأنه قال: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات ، وهي صيغة جمع، وعبر عن الإيمان والهداية بالنور وهو لفظ مفرد ، وذلك يدل على أن طرق الجهل كثيرة، وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا واحد.

هذا كلام الرازي، وليس فيه ما يلبس إلا قوله: (فعبر عن)[5]، والأنجى من هذا اللفظ الملبس أن يقال: (فقال الظلمات)... إلخ.

---

(١) البحر المحيط ٥/٣٩٢ .
(٢) نظم الدرر ١٠/ ٣٦٩-٣٧٠ .
(٣) روح المعاني ١٣/١٧٩، ١٨٠.
(٤) التفسير الكبير ١٩/٧٤.
(٥) التفسير الكبير ١٩/٧٥.

وعلى هذه النكتة طوائف من أمثال:

الزمخشري الذاكر لها في أول الأنعام، والبقاعي،والآلوسي وزاد : أو لأن الأول إيحاء إلى القلة والكثرة، ولابن القيم بحث في طريق الهجرتين[١]، وعند ابن عاشور جمع الظلمات ؛ لأنها بالجمع أخف، ولفظ النور بالأفراد أخف ، ولم يختر ما قاله الزمخشري[٢].

وقال الزجاج: لأن الكفر غير بينٍ فمثل بالظلمات ، والإيمان بينٌ نيرٌ فمثل بالنور[٣].

(٢)﴿إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

إضافة الصراط إلى الله تعالى إما لأنه مقصده أو المظهر له ، وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله[٤].

وقال ابن عطية: صفتان لائقتان في هذا الموضع، فالعزة من حيث الإنزال للكتاب وما في ضمن ذلك من القدرة واستيجاب الحمد من حيث بث هذه النعم على العالم في هدايتهم[٥].

وقيل: لما ذكر قبله إنزاله تعالى لهذا الكتاب وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة المتضمنة للقدرة والغلبة لإنزاله مثل هذا الكتاب المعجز الذي لا يقدر عليه سواه، وصفة الحمد لإنعامه بأعظم النعم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور[٦].

---

(١) الكشاف ٢/٣٢٠،٣٢١، وطريق الهجرتين ص ٣٨٣ – ٣٨٥، نظم الدرر للبقاعي ١٠/٣٧٠،٣٧١ ، روح المعاني ٣/١٤– ١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٧/١٢٧، وأحال في موطن سورة إبراهيم إلى ما أورده عند آية الأنعام الأولى.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٣.

(٤) أنور التنزيل ٢/٢١٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢١٩، ونقلها أبو حيان في بحره ٥/٣٩٢.

(٦) حاشية الشهاب الخفاجي ٥/٢٥٠.

وهو في معنى ما سبق من قول ابن عطية وفيه بسط عبارة، وعند ابن عاشور مثل ما تقدم[1].

(٣) ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

وإسناد الإنزال إلى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ وإسناد الإخراج إليه – عليه الصلاة وة السلام – تنويه عظيم وتشريف له صلى الله عليه وسلم من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بإنزاله تعالى وبإخراجه عليه الصلاة والسلام، إذ هو الداعي والمنذر وإن كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى[2]، قلت: ولفظ (مخترع) قلقة والأسلم أن يقال: خالق الهداية أو الهادي هداية توفيق وإلهام هو الله عز شأنه.

وجاء التصريح فيها بفاعل الإنزال مع أنه معلوم من مادة الإنزال المشعرة بأنه وارد من قبل العالم العلوي؛ لأن المقام مقام الامتنان على الناس المستفاد من التعليل بقوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ومن ذكر صفة الربوبية بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[3].

(٤) ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

وضع الظاهر موضع الضمير، والأصل – بإذننا – وذكر الربوبية فقال: ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ للإشعار بالتربية واللطف والفضل، وبأن الهداية لطف محض، وفيه أن الكتاب والرسول والدعوة لا تجدي دون إذن من الله تعالى.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/١٨١.

(٢) البحر المحيط ٥/٣٩٢، روح المعاني ١٣/١٨٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/١٧٩.

هذا كلام الطيبي، وقال الآلوسي بعده: وأضيف إلى ضمير الناس اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كمال المتوجه إليه، وشمول الإذن بذلك المعنى للكل واضح، وعليه يدور كون الإنزال لإخراجهم جميعاً، وعدم تحقق الإذن بالفعل في بعضهم ؛ لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم ، ورداءة استعدادهم غير مخل بذلك[1].

الآية الثانية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

المناسبة لما قبلها:

لما نفى جميع الأسباب النافعة في الدنيا في ذلك اليوم – يوم القيامة – كان كأنه قيل: من الحَكَم فيه حتى إنه يسيره سيرة لا نعرفها؟ فقيل: ﴿ ٱللَّهُ ﴾... ثم أتبعه بصفات تدل على ما دعا إليه الرسل من وحدانيته وما أخبروا به من قدرته على كل شيء ، فلا يقدر أحد على مغالبته وعلى المعاد وعلى غناه فلا يبايع... ثم عقبه بأدل الأمور على الإعادة مع ما فيه من عظيم المنة بأن به الحياة[2].

وقال الألوسي: ثم إنه لما ذكر سبحانه أحوال الكافرين لنعمه وأمر المؤمنين كافة بإقامة مراسيم الطاعة شكراً له شرع جل وعلا في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام ؛ حثاً للمؤمنين وتقريعاً للكفرة المخلين أتم إخلال بها، فقال عز قائلاً: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ اهـ

---

(١) روح المعاني ١٣/ ١٨٠، ١٨١.

(٢) نظم الدرر ١٠/ ٤١٩ – ٤٢٠.

وجعله هذه الوجه من المناسبة أولى مما قاله أبو حيان[1].

وقال أبو حيان: لما أطال تعالى الكلام في وصف أحوال السعداء والأشقياء وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته، فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ وذكر عشرة أنواع من الدلائل[2].

النكات واللطائف:

(١) قال ههنا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾، وفي النمل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ بزيادة لكم، لأن (لكم) في هذه السورة مذكور في آخر الآية فاكتفى بذكره، ولم يكن في النمل في آخرها فذكر في أولها وليس قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ ﴾ يكفي من ذكره، لأنه نفي لا يفيد معنى الأول[3].

(٢) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

بدأ بذكر السماء والأرض فهما دالان على وجود الصانع الحكيم، وإنما بدأ بذكرهما؛ لأنهما الأصلان اللذان يتفرع عليهما سائر الأدلة المذكورة بعد ذلك[4].

قلت: وقوله الصانع أحق منه أن يقال **الخالق** كما هو لفظ ما ابتدأت به الآية، وليس من أسماءه الحسنى (الصانع)[5].

---

(١) روح المعاني ٢٢٣/١٣.

(٢) البحر المحيط ٥/٤١٦.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢٧٠/١.

(٤) التفسير الكبير ١٢٩/١٩.

(٥) تيسير العزيز الحميد ١١١٠/٢، ١١١١. فقد ذكره الشيخ سليمان بن عبدالله في ما ليس من أسماء الله، وخطأ من عدّها من أسمائه، ومتقرر عند أهل السنة أن الاسم تستخرج منه الصفة، لا العكس فليس كل صفة لله محتوية على اسم من أسمائه.

(٣) فائدة الأخبار في الآية الترغيب على الشكر والطاعة لموجد هذه الأجرام العظام وسائر ما يترتب عليها من إنزال الأمطار وإخراج الأثمار، مع التعريض للكفرة الأشرار الذين عبدوا الأصنام وأعرضوا عن القادر القوي العلام[١].

وقال أبو حيان في الآية: وذكر عشرة أنواع من الدلائل فذكر أولاً إبداعه وإنشاء السموات والأرض، ثم أعقبه بباقي الدلائل، وأبرزها في جمل مستقلة؛ ليدل وينبه على أن كل جملة منها مستقلة في الدلالة، ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد[٢].

(٤) ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

إما أن تكون (من) لبيان الجنس كما ذهب إليه الزمخشري، والبيضاوي– مع ذكره احتمال العكس –، والآلوسي[٣].

وإما أن تكون تبعيضية، ويكون المعنى أن الرزق هو بعض جني الأشجار ويخرج منها ما ليس برزق كالمجرد للمضرات، وهذا ما رجحه أبو حيان، ورد أن تكون للبيان؛ لأنها إنما تجيء بعد المبهم[٤].

وجوز ابن عطية وأبو السعود احتمال البيانية – وصدَّر به – والتبعيضية[٥].

وأجاب السمين الحلبي عن رد أبي حيان على من جوز كونها للبيان بقوله: وقد يجاب عنهما بأنهما أرادا ذلك من حيث المعنى لا الإعراب[٦].

---

(١) حاشية القونوي على البيضاوي ٧٤/١١.

(٢) البحر المحيط ٤١٦/٥.

(٣) الكشاف ٣٨٢/٣، المحرر الوجيز ٢٥١/٥ ،أنوار التنزيل ٢٢٥/٢، روح المعاني ٢٢٣/١٣.

(٤) البحر المحيط ٤٢٧/٥.

(٥) إرشاد العقل السليم ٢٦٢/٣، المحرر الوجيز ٢٥١/٥.

(٦) الدر المصون ١٠٨/٧.

(٥)﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

افتتح الكلام باسم الموجد؛ لأن تعيينه هو الغرض الأهم.

وأخبر عنه بالموصول؛ لأن الصلة معلومة الانتساب إليه والثبوت له إذ لا ينازع المشركون في أن الله هو صاحب الخلق(١).

وقوله: (الموجد) أحق منه اسم (الخالق) كما هو لفظ الآية.

(٦)﴿ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يقال فيها ما قيل في نظيراتها من سورة البقرة.

(٧)﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾.

والمراد أنه تعالى إنما أخرج هذه الثمرات لأجل أن تكون رزقاً لنا، والمقصود أنه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات إيصال الخير والمنفعة إلى المكلفين؛ لأن الإحسان لا يكون إحساناً إلا إذا قصد المحسن بفعله إيصال النفع إلى المحسن إليه(٢).

(٨)﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾.

واعلم أن ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات فلا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزرع والنبات، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب والصالح لهذا المهم هو مياه الأنهار(٣).

وأضاف التسخير إلى أمره؛ لأن الملك العظيم قلما يوصف بأنه فَعَل، وإنما يقال فيه: إنه أمر بكذا تعظيماً لشأنه(٤).

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/٢٣٥.

(٢) التفسير الكبير ١٩/١٢٩.

(٣) التفسير الكبير ١٩/١٣٠.

(٤) التفسير الكبير ١٩/١٣٠.

المطلب الرابع : آيتا سورة الحجر.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ [الحجر: ٢٢].

سورة الحجر مكية النزول، وفي الشاهد من الاقتران بين النزولين تقدم نزول الذكر ثم بعد تبعه نزول ماء السماء.

وهذه الآية فيها شبه من آية الأنعام من وجوه:

١ – كلاهما من السور المكية.

٢ – تقدم نزول القرآن ذكراً على نزول ماء الغيث.

٣ – ما بين النزولين من فاصل لم يكن بعيداً عن أغراض الآيتين.

٤ – سبق نزول ماء السماء دلائل كونية من أجرام الفَلَك ومشاهد البراهين الأرضية.

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

المناسبة : قلت :

لما قالوا: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ [الحجر: ٦]، واشتطوا في طلب نزول الملائكة مصدقة دعوى النبوة رد القرآن عليهم أن التكليف يزول عند نزول الملائكة بالعذاب والإهلاك.

ثم انتقل السياق إلى بيان الذكر المنزل ؛ إشارة – والله أعلم – إلى أن نزوله وحفظه أعظم برهان وأصدق بيان لو تفكروا وبعين البصيرة نظروا.

النكات واللطائف:

(١)– حفت هذه الآية جملة من المؤكدات وسُبكت الجملتان سبكاً يدل على الكبرياء والجلالة ثم فخامة شأن التنزيل.

ووجوه المؤكدات في الآية ما يلي:

أ – (إن) والجملة الاسمية.

ب – تقديم الضمير.

ج – تزيده قوة ضمير العظمة (نحن).

قال الرازي: هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم.

د – جملة ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مقررة للجملة الأولى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ لأنها كالدليل عليها، لكن لتضمنها معنى زائداً عطفت عليه.

هـ – إيراد الجملة الثانية ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ واستمراره[1].

(٢) – قال ابن الأنباري: لما ذكر الله الإنزال والمنزل دل ذلك على الُمنزل عليه فحسنت الكناية عنه؛ لكونه أمراً معلوماً كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ **[القدر: ١]**، فإن هذه الكناية عائدة إلى القرآن مع أنه لم يتقدم ذكره[2].

(٣)– وفي سبك الجملتين في الآية من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى[3].

(٤)– في الآية جاء نشر الجوابين على عكس لف المقالين ؛ اهتماماً بالابتداء برد المقال الثاني بما فيه من الشبهة بالتعجيز والإغمام.

---

(١) التفسير الكبير ١٩/١٦٤،أنوار التنزيل ٢/٢٣٥،، البحر المحيط ٥ / ٤٣٥ ، إرشاد العقل السليم ٣/٢٩٦، ٢٩٧ ، حاشية الشهاب الخفاجي ٥/ ٢٨٤،، روح المعاني ١٤/١٦، التحرير التنوير ١٤/٢٠،٢١.

(٢) البسيط للواحدي ١٢/٥٤٨، التفسير الكبير للرازي ١٩/١٦٤، وهو في حاشية شيخ زاده على البيضاوي ٣/١٤٧.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/٢٩٦.

والجواب من نوع القول بالموجب لتقرير إنزال الذكر على الرسول مجاراة لظاهر كلامهم، والمقصود الرد عليهم في استهزائهم[1].

ومقصوده بالمقالين قول المشركين من قبل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، هذه المقالة الأولى، والثانية ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الحجر: ٧] وفي معنى ما قاله هنا عند الألوسي[2].

(٥) – ثم زاد ارتقاء و نكاية لهم بأن منزل الذكر هو حافظه من كيد الأعداء... واللام في ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ ، لتقوية عمل العامل لضعفه بالتأخير عن معموله[3].

(٦) – ﴿لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ دائماً بقدرتنا وعلمنا لما في سورة هود من أن ذلك لازم للحفظ، فانتفى حينئذ جواز أن ينزل على مجنون مختلط لاسيما وهو على هذه الأساليب البديعة والمناهج الرفيعة[4].

الآية الثانية: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

المناسبة :

لما ذكر حال منكري النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلائله السماوية وبدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الأرضية[5].

وهذه الآية هي النوع الخامس من دلائل التوحيد[1]، وبه يعلم أن ما قبلها وما بعدها جاء مشتملاً على دلائل للتوحيد والألوهية.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٢٠، ٢١.

(٢) روح المعاني ١٤/١٦، ١٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٤/٢١.

(٤) نظم الدرر ١١/٢١.

(٥) التفسير الكبير ١٩/١٧٢، البحر المحيط ٥/٤٣٧.

ومثله أنه انبرى يبين دلائل تفرده بالألوهية فذكر الدلائل الواضحة من خلق السموات والأرض ثم أعقبها بدلائل إمكان البعث من خلق الحياة والموت وانقراض أمم وخلفها بأخرى[٢].

وفي تناسب بينٍ ذكر السماء في قوله عز اسمه: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحجر: ١٤] وكان ذكر الآية السماوية على سبيل الفرض في الجواب عن إنكارهم النبوة أخبر عما له من الآيات المحققة الوجود المشاهدة الدالة على قدرته فأتبعها بالاستدلال على وحدانيته بما له من المصنوعات.

وابتدأ بالسماوات لظهورها لكل أحد وشرفها وظهور أنها من الخوارق، ثم ثنَّى بآية الأرض، ثم أتبعها بما ينشأ عن السماوت والأرض مما هو بينهما مودعاً في خزائن قدرته[٣].

النكات واللطائف:

(١) – ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾.

قراءة الجمهور بالجمع الرياح، فهي بذلك متسقة مع القاعدة الكلية الجاعلة الرياح بالجمع في سياق الرحمة.

فأما قراءة (الريح) في الآية فقرأ بها حمزة بالإفراد[٤].

وهي على تأويل الجنس فهي في معنى الجمع، ولذا صح جعل (لواقح) حالاً منها، وقد قيل تعقباً للكلية المقررة:

---

(١) التفسير الكبير ١٧٩/١٩.

(٢) التحرير والنوير ٢٧/١٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٢٩/١١ – ٣٦.

(٤) انظر: السبعة لابن مجاهد ص ١٧٣، النشر لابن الجزري ٢٢٣/٢، ٢٢٤.

هذا ليس من الوضع ، وإنما هو من الاستعمال وهو أغلبي أو كلي ، فقد استعملت الريح في الخير نحو قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ، أو هو محمول على الإطلاق بأن لا يكون معه قرينة كالصفة والحال[1].

(٢) - ﴿لَوَاقِحَ﴾.

من بلاغة الآية إيراد هذا الوصف ﴿لَوَاقِحَ﴾ لإفادة كلا المعنيين اللذين تعملهما الرياح فهي تلقح السحاب بالماء، وتلقح الشجر ذي الثمر[2].

ولواقح بمعنى حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل ، كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم ، أو ملقحات للشجر أو للسحاب[3].

وهو تشبيه بليغ[4].

فإن قيل كيف قال ﴿لَوَاقِحَ﴾ وهي ملقحة؟ فالجواب من وجهين:

أ – لواقح ههنا بمعنى ملاقيح جمع مُلْقِحة ، فحذفت الميم منه وردت إلى الأصل.

ب – يجوز أن يقال لها لواقح وإن ألقحت غيرها، لأن معناها النسب ومعنى لاقح : ذات لَقْح كما يقال: تامر، ولابن، ونابل[5].

(٣) - ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾.

أسقيناكموه أبلغ من (سقيناكم) ؛ لما فيه من الدلالة على جعل الماء معداً لهم ينتفعون به متى شاءوا.

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ٥/ ٢٨٩، ونقله الألوسي ناسباً الكلام إلى الشهاب ٣١/١٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٣٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٨٧، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٧، تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٥٦، مادة »لقح«، البسيط للواحدي ٥٧٦/١٢، ٥٧٧، زاد المسير ٤/ ٣٩٣، ٣٩٤ ، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ٢٣٧.

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي ٥/ ٢٨٩.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٨/١، ٣٩٩، معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٧، تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٥٥ – ٥٦، البسيط للواحدي ٥٧٦/١٢–٥٧٧ ، المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٢، ٢٨٣، الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٩٥، ١٩٦.

وقد فرق بين أسقى وسقى غير واحد

ومما فرقوا به بينهما:

أن سقى ناوله فشرب، أو صب الماء في حلقه، ومعنى أسقاه جعل له سُقيا، قال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧].

وقال النحاس عن هذا: إن عليه أكثر أهل اللغة[١].

وهو ما فرق به سيبويه بينهما في الكتاب[٢].

وبنحوه عند أبي عبيدة في مجاز القرآن[٣].

قال الراغب: السقي والسقيا أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي؛ لأن الإسقاء هو أن يجعل له ما يُسقى فيه ويشرب، تقول: أسقيته نهراً... وقال: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أي: جعلناه سُقياكم[٤].

(٤) - ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾.

نفى عنهم مظهراً لعجزهم وضعفهم ما أثبته لنفس المقدسة قبل حين قال ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]، وذلك أيضاً ليدل على المدبر الحكيم... فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص[٥].

وقيل: الخزن هو مجاز عن مطلق الحفظ في مجاريه مع أنه لو خلي وطبعه لغار[٦].

---

(١) إعراب القرآن ص ٤٥٢، ونقله القرطبي في تفسيره ٣٥١/١١.

(٢) الكتاب ٥٩/٤.

(٣) مجاز القرآن ٣٥٠/١.

(٤) المفردات في غريب القرآن ٣١٠ – ٣١١.

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٣٧/٢.

(٦) حاشية الشهاب الخفاجي ٢٨٩/٥.

قلتُ: وفي وصف القرآن بقوله: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ وهنا ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ يثبت تعالى لنفسه ما نفاه عنهم بملمح بديع فكما أنه يحفظ الماء بقدرته عن الغور فكذلك حفظه –جل شأنه– القرآن العظيم، وهما حفظان حسي ومعنوي، والله أعلم.

وبعد، فسياق الآية التي تضمنت نزول القرآن وحفظه جاءت بعد شبهة المشركين وحجاجهم الفج وتمحلهم في إنزال الملائكة؛ استخفافاً وطلباً للتعجيز وليس ذاك بمعجز.

ثم بعد ذلك سلّى الله تعالى رسوله عن تكذيب المشركين بما ضربه له من أخبار مَن سبقه من المرسلين وطريق التمثيل بنظرائهم من الأمم السابقة.

وانتقل السياق إلى دلائل سماوية وأرضية تدل على بديع صنعه وعظيم خلقه وتدبيره المحكم المتقن.

وبعدها قال: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣] وفي هذا يقول ابن عاشور: ناسب أن يذكر بعده جنس الإحياء كله؛ لما فيه من غرض الاستدلال على الغافلين عن الوحدانية، ولأن فيه دليلاً على إمكانية البعث[١].

وبهذا اتسقت وتناسقت الموضوعات الأربع: النبوة، والقرآن، والوحدانية، والبعث، تناسقاً واطراداً حسناً فزادت المشابهة كما قررته قبل بين هذه السورة وما ورد في سورة الأنعام.

ومن محاسن التأمل أن سورة الحجر تكرر ذكر القرآن في مفتتحها وفي خاتمتها غير ما جرى بحثه واستخراج أمارات حسنة.

ففي صدرها ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/٣٩.

وفي خاتمتها ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فأتى بثلاثة أسماء: الكتاب، والذكر، والقرآن، وجاءت ثلاث مرات والذكر مرتين والكتاب مرة، فزاد تأكيداً على مقصد عظيم للسورة وهو الاستدلال بالكتاب والاستدلال له في سورة الحجر المكية، والله أعلم.

المطلب الخامس: آيتا سورة النحل

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥].

هذا موطن اقترن فيه النزولان وأتيا تباعاً لم يفصل بينهما بفاصل، وتقدم فيه إنزال القرآن على إنزال ماء السماء.

الآية الأولى / قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ﴾.

المناسبة:

ختم تسليته للنبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على أنك لم تبعث إلا لتبلغ وتبين للناس ما هو الحق من العقائد والأعمال، لا أن تلتفت إلى سفاهات قومك وجهالاتهم وتغتم لأجلها، فقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾(١).

ويعني بهذا أن ما قبل آية الإنزال هذه كان فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له عن صدود قومه وتكذيبهم حين أخبر أن كفرهم سبقه وماثله كفر أمم قبلهم ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وختم التسلية بهذه الآية.

---

(١) حاشية شيخ زاده ٣/١٨٥.

النكات واللطائف:

(١) – قال الزمخشري: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما ؛لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخل اللام على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل(١).

قال أبو حيان: ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ودخلت اللام لاختلاف الفاعل، لأن المنزل هو الله والتبيين مسند للمخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقول الزمخشري معطوف على محل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ليس بصحيح؛ لأن محله ليس منصوباً فيعطف منصوب عليه(٢).

وقول الزمخشري هو ما ذهب إليه البيضاوي (٣).

وأطنب السمين الحلبي في ذكر القولين ، وبين معنى قول الزمخشري موضحاً ما أراده ، وكذلك الشهاب الخفاجي أطال في عرض المسألة ونقاشها(٤).

وقال ابن عاشور: وأدخلت لام التعليل على فعل ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ ؛ لأنه من فعل المخاطب لا من فعل فاعل ﴿أَنزَلْنَا﴾(٥).

وقال أيضاً: الإتيان بصيغة القصر ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ﴾ ؛ لقصد الإحاطة بالأهم من غاية القرآن وفائدته التي أنزل لأجلها فهو قصر ادعائي ؛ ليرغب السامعون في تلقيه وتدبره من مؤمن وكافر كل بما يليق بحاله حتى يستووا في الاهتداء... إلخ(٦)، وفي قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ وجه عدوله إلى الفعل المضارع لإفادة الاستمرار التجددي (٧).

---

(١) الكشاف ٣/٤٤٦.

(٢) البحر المحيط ٥/٤٩١.

(٣) أنوار التنزيل ٢/٢٦٨.

(٤) الدر المصون ٧/٢٤٩، ٢٥٠، حاشية الشهاب الخفاجي ٥/٣٤٤.

(٥) التحرير والتنوير ١٤/١٩٦.

(٦) التحرير والتنوير ١٤/١٩٦.

(٧)حاشية القونوي على البيضاوي ١١/٣١٠.

(٢) – ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينفي كونه كذلك في حق الكل... وإنما خص المؤمنين بالذكر من حيث إنهم قبلوه فانتفعوا به [١].

وقيل: إنما انتصبا ؛ لكونهما أثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه، ولعل تقديمه – أي التبيين – عليهما لتقدمه في الوجود، وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين ؛ لأنهم المغتنمون بآثاره[٢].

أما المناسبة بين آية إنزال القرآن وإنزال ماء السماء بعدها فقيل: لما أمره بتبيين ما اختلف فيه نصَّ العبر المؤدية إلى بيان أمر الربوبية فبدأ بنعمة المطر التي هي أبين العبر وهي ملاك الحياة وفي غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل[٣].

وقيل: لما ذكر إنزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الأرواح وشفاء لما في الصدور من علل العقائد... فكذا إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقائها، ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن إلخ[٤].

وعند الرازي أن المقصود من القرآن أربعة: الإلهيات والنبوات والمعاد والقدر والأعظم منها الإلهيات، فابتدأ في ذكر دلائلها بالأجرام الفلكية ثم بالإنسان ثم بالحيوان ثم بالنبات ثم بأحوال البحر والأرض، ثم عاد إلى تقرير الإلهيات فبدأ بذكر الإلهيات ا.هـ[٥]

والمناسبة عند البقاعي كما هي عند الرازي[٦].

---

(١) التفسير الكبير وعزاه الرازي إلى الكلبي ٢٠/ ٦٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٧٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤٩١.

(٥) التفسير الكبير ٢٠/ ٦٥.

(٦) نظم الدرر ١١/ ١٨٩ – ١٩٠.

قال الغرناطي: فاتصل ذكر إنزال الكتاب بإنزال الماء، وما سماه رحمة إلا لرحمته عباده به وماء السماء رحمة ، وقد سماه بذلك ، وبالمنزل من الكتاب يتذكر اعتبار الرحمة بالماء والمنزل من السماء ولا يحتاج في ذلك إلى كبير تذكر، بل التنبيه على إنزاله بالوارد في الكتاب مع مشاهدة منافعه كافٍ في الاعتبار...... فالتحم الكلام وتناسق النظم والمعنى[١].

٧ – وفي ربط صريح مليح قال الآلوسي: ويكفي في ربط الآية بما قبلها تشارك الكتاب والمطر في الإحياء فكان في ذاك إحياء القلوب، وفي هذا إحياء الأرض من الجدب[٢].

النكات واللطائف:

(١)– تقديم لفظ الجلالة وتصدير الآية باسم الجليل ؛ لإفادة التخصيص، وإظهار اسم الجلالة ؛ لقصد التنويه بالخبر، لأن دلالة الاسم العلم أوضح وأصرح فهو مقتض مقام تحقيق الانفراد بالخلق والإنعام دون غيره من شركائهم[٣].

(٢)– ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾.

لما كانت عادته بذلك مستمرة، وكان السياق لإثبات دعائم الدين، وكان الإحياء بالماء لا يزال أثره قائماً في زرع أو شجر في بعض الأراضي أعرى الظرف من الجار، لأن المعنى به أبلغ فقال: ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾[٤].

وجعل الغرناطي سبب ذلك التناسب وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ ثم أسهب في تقرير معنى ذلك[٥].

---

(١) ملاك التأويل ٢/ ٧٤٦–٧٤٧ .

(٢) روح المعاني ١٤/ ١٧٦ ..

(٣) التحرير والتنوير ١٤/ ١٩٨.

(٤) نظم الدرر ١١/ ١٩٢.

(٥) ملاك التأويل ٢/ ٧٤٩–٧٥٠ .

وعند الكرماني ؛ لأنه أجمل الكلام، فاقتضى الإجمال المحذوف ، والتفصيل الإثبات فجاء في كل سورة بما يقتضيه الحال[1].

(٣)- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾.

كانت مفردة ﴿يَسْمَعُونَ ﴾ المختومة بها الآية دليلا شاهدا لما يبصر ويدرك بالنظر محفزة لأهل العلم في التماس سر ذلك ونكتته فكان بعض ما توصلوا له من ملح ولطائف:

﴿يَسْمَعُونَ ﴾ يدل على ظهور هذا المعتبر فيه وبيانه، لأنه لا يحتاج إلى تفكر ولا نظر قلب، وإنما يحتاج المنبه إلى أن يسمع القول فقط.

هذا قول ابن عطية، والألوسي الذي يقول: للإشارة إلى ظهور هذا المعتبر ، وأنه لا يحتاج إلى نظر ولا تفكر ، وإنما يحتاج إلى أن يسمع القول فقط[2].

وقيل: ﴿يَسْمَعُونَ ﴾ سماع إنصاف وتدبر؛ لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع.

قاله الزمخشري، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وبنحوه ابن عاشور [3]، والخطيب الإسكافي وعبارته: إنما ذكر ﴿يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ توبيخاً لمن أنكر البعث واستبعد الحياة الثانية فكأنه قيل له: إن ذلك قبل التدبر مقرر في أول الفعل حتى إن من يسمعه يعترف به[4].

وقال قوم: أراد بالسمع القبول كما في سمع الله لمن حمده، أي : لقوم يتأملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها، وإنما خص كونها آية بهم ؛ لأن غيرهم لا ينتفع

---

(١)البرهان في متشابه القرآن ص ١٠١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، ٣٧٧، روح المعاني ١٧٦/١٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٤٦، أنوار التنزيل ٢/ ٢٦٨، البحر المحيط ٥/ ٤٩١ ، التحرير والتنوير ١٩٨/١٤ .

(٤) درة التنزيل ٢/ ٨٥٠، ٨٥١.

بها، وهذا كالتخصيص في قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وبما قرر يتضح وجه العدول عن يبصرون إلى يسمعون[1].

وعند البقاعي لم يختمها بـ (يبصرون) ؛ لئلا يظن أن ذلك من البصيرة فيظن أنه يحتاج إلى كبير فكر فيفوت ما أريد من الإشارة إلى شدة الوضوح.

وقبلها جعل ذلك لأن الأدلة في السورة صارت إلى حد لا يحتاج معه السامع العاقل إلى أكثر من السماع فلا تحتاج مع الحس إلى كبير عمل بالقلب غير الانقياد إلى الحق وترك العناد وةالجهل ، فهو من سماع الأذن وما ينشأ عنها من الإجابة[2].

وهو قريب متجه إلى ما ذكره ابن عطية وغيره ، وفيه إيضاح وجيه.

قلت: ومثل هذا الاقتران بين النزولين الذي تفتقت أكمام فرائده جاء في صدر سورة النحل[٢] قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ ونزول الوحي هنا يشمل ما كان قرآنا وما كان غيره.

وعقبه قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾[١٠] مع جمع من الأدلة والبينات الفلكية والأرضية وفي خلق الإنسان والحيوان ، وهذا مما لم يفت الرازي رحمه الله ولا ابن عاشور.

إذ يقول الأول: في أول السورة لما أراد ذكر دلائل الإلهيات ابتدأ بالأجرام الفلكية وثنى بالإنسان وثلّث بالحيوان، وربّع بالنبات، وخمّس بذكر أحوال البحر والأرض فهنا في هذه الآية لما عاد إلى تقرير دلائل الإلهيات بدأ أولاً بذكر الفلكيات... إلخ[3]، ثم طاف على

---

(١) هذا ما نقله الشهاب الخفاجي في حاشيته معزواً إلى خاتمة المفسرين كما نعته بذلك ٥/٣٤٤ – ٣٤٥، وله تعقيب وترجيح بين ما بان من لطائف في الآية .

(٢) نظم الدرر ١١/١٩١.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/٦٥.

بقية الدلائل، وهي الاستدلال بعجائب أحوال الحيوانات وبعض منافع النبات، ثم عجائب أحوال الناس[1].

وقارن ابن عاشور بين آية ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[٦٥]، وآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾[١٠]. فجعل هذه ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ مسوقة للاستدلال بتكوين الماء، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ للامتنان، فتخالفتا باختلاف الغرض الأولي.[2]

قلتُ: وفي النحل تنوع لذكر القرآن ووصفه فجاء في الافتتاح مشمولاً بالروح ليدل على أن به حياة الأرواح من موتها.

ثم ورد باسم ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل: ٤٤]., وثالثة: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[النحل: ٩٨]., ورابعة في موطن الاقتران: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾[النحل: ٦٥]، وفي كل هذه الآيات الواصفات للقرآن بانت غايات جليلة من إنزاله فهو منزل على النبي صلى الله عليه وسلم للبيان وإيضاح حقائق التشريع وأركانه، وللعباد للتفكر والتثبيت، وهدى ورحمة وبشرى لأهل الإيمان.

ومما يسترعي النظر أنه أسند التبيين والبيان في الآيتين للنبي صلى الله عليه وسلم وظهرت مقاصد القرآن ومهامه في حق المؤمنين هداية ورحمة وبشارة والله بمراده أعلم، وأمره وقضاؤه أحكم.

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/٦٥ – ٨١.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/١١٣، ١٩٨.

المطلب السادس : آيتا الكهف

١ – ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

٢ – ﴿مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾.

المناسبة :

قال السيوطي: مفتتحة بذكر القرآن ومختتمة به[١].

وفي مناسبتها لما قبلها يقول البقاعي: لما ختمت – يعني الإسراء – بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون[٢].

وقيل في الربط بين السورة وما تقدمها غير ذلك[٣].

النكات واللطائف:

(١) – ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد، وهذا فيه على أن الإسراء به أول درجات كمال وإنزال الكتاب غاية درجات كماله[٤].

---

(١) مراصد المطالع ص ٥٤.

(٢) نظم الدرر ٢/١٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥٦٢/٥، تناسق الدرر للسيوطي ٩٩ – ١٠٠، حاشية القونوي ٣/١٢، روح المعاني ١٩٩/١٥.

(٤) التفسير الكبير ٧٤/٢١، ٧٥.

(٢) – إنزال الكتاب نعمة على النبي صلى الله عليه وسلم ونعمة على العباد، أما كونه نعمة عليه فلأنه اطلع بواسطة الكتاب على علوم التوحيد والتنزيه وصفات الكمال والجمال لله وأحوال الآخرة وأحوال عالم الدنيا وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي.

أما كونه نعمة في حقنا فلا شك أن ذلك من أعظم النعم ؛ لأنه مشتمل على التكليف والأحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب[١].

وهو بهذا يبين عن مناسبة الحمد على إنزال الكتاب، إذ الحمد لله على كونه نعمة في حق من أنزل عليه وفي حق من أنزل إليهم.

(٣) – ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾

هذا الموطن الثاني بعد موطن الإسراء الذي وصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية في مقامات عِظام كان الإسراء أولها وثانيها هنا إنزال الكتاب ومثله في الفرقان.

والنكتة كما في سورة الفرقان، وحاصلها أنه وصف بأشرف المقامات وهو مقام العبودية في أشرف المواطن وهي إنزال القرآن.

قال أبو السعود: وفي التعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافاً إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلاة والسلام إلى أعلى معارج العبادة وتشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل[٢].

(٤) – ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

(١) التفسير الكبير ٧٥/٢١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤٩١/٣.

لما كان المراد وصف جملة الكتاب بالإعجاز من غير نظر إلى التفريق والتدرج عبر بالإنزال دون التنزيل، فقال: ﴿أَنزَلَ﴾... وقدمه – أي وصف النبي – بالعبودية على المنزَل؛ لأن المراد الدلالة على صحة رسالته بما لا يحتاج فيه قرشي إلى سؤال اليهود ولا غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره فقال: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾.

وإشارة إلى أن الذي أسري به إلى حضرات مجده ليريه من آياته(١).

(٥) – ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

جملة خبرية معناها الأمر، قال النسفي: لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم(٢).

قلتُ: افتتح القرآن بالحمد في سورة أم الكتاب وفي نصفه الثاني في سورة الكهف افتتحت بالحمد، فالحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، حمداً لا يستقصى وثناء لا يحصى على نعمه الغزار ومننه السالفة الكبار وهو الله الولي الحميد الغفار(٣).

وقال البيضاوي: رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد(٤).

(٦) – ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾.

في وصفه تعالى بالموصول إشعار بعلة ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد الدال عليه اللام... وإيذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا، وهو الهادي إلى الكمال الممكن في جانبي العلم والعمل(٥).

---

(١) نظم الدرر ١٢/٢ – ٣.
(٢) مدارك التنزيل ٢/٢٨٥.
(٣) لابن عاشور جزء مما ورد أعلاه مع زيادات جعلها تحت عنوان: كرامة قرآنية. التحرير ١٥/٢٤٥.
(٤) أنوار التنزيل ٢/٣٢٦، ٣٢٧.
(٥) روح المعاني ١٥/٢٠٠، بنحوه في حاشية ابن التمجيد ١٢/٣، وبنحوه في التحرير والتنوير ١٥/٢٤٦.

(٧) – ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

اللام هنا للاستحقاق وهو أحد معانيها كما ذكره النحاة قاطبة، ووجه ترتبه عليه وإن كان مؤخراً في الذكر أن الوصف بشيء بعد إثبات حكم يقتضي عليته، ويقتضي تقدمه في التصور والرتبة(١).

قال القونوي معلقاً على البيضاوي: ولقد أصاب في تعرضه الاستحقاق هنا، والاستحقاق مستفاد من لام لله، لكونه بمعنى الاستحقاق والاختصاص ففهم من لام الاستغراق... والإنزال هنا بمعنى التنزيل(٢).

(٨) – ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

والكتاب حينما ذكر في القرآن يراد به القرآن ما لم يصرف عنه قرينة، وهنا كذلك(٣).

(٩) – ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾.

يقال عِوج وعَوَج بالفتح والكسر، فالكسر لما لا يرى له شخص، كما هي عبارة الزجاج أو لما يدرك بالعين يعني: في الأعيان، والفتح يرى له شخص أو لما يدرك بالعين، يعني للمعاني(٤)، وقيل لا فرق بينهما(٥).

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته: التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح(٦)، ومثله قول البقاعي في نظمه(٧).

---

(١) حاشية الخفاجي على البيضاوي ٦/ ٧١.
(٢) حاشية القونوي ١٢/ ٣ – ٤.
(٣) قاله القونوي في حاشيته ١٢/ ٣.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٧، المحرر الوجيز ٥/ ٥٦٢، مفردات الراغب ص ٥٩٢، نظم الدرر ١٢/ ٤، البحر المحيط ٦/ ٩٣ – ٩٤، التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٧.
(٥) شرح الفصيح للمرزوقي كما نقله الألوسي عنه ١٥/ ٢٠١، وقال ابن عاشور عن عدم التفريق: إنه الذي عليه المحققون من أئمة اللغة ١٥/ ٢٤٧.
(٦) الكشاف ٣/ ٥٦٤.
(٧) نظم الدرر ١٢/ ٤.

وقال ابن عاشور: والجمع بين قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ كالجمع بين ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وبين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وليس هو تأكيداً لنفي العوج[1].

وهو ما قرره الرازي جاعلاً قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته، وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ إشارة إلى كونه مكملاً لغيره[2].

وأيد الآلوسيُ قولَ الزمخشري ووصف قوله إن ذلك للتأكيد، بأنه --أي قول الزمخشري- غير ذي عوج عند السبر والتصفح[3].

وجعل البيضاوي ﴿قَيِّمًا﴾ محتملاً ثلاثة تأويلات: إما مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها[4].

قال المُحَشُّون على تفسيره : وعلى كل هذه المعاني يكون المعنى تأسيساً لا تأكيداً[5].

وقال أبو حيان: ﴿قَيِّمًا﴾ تأكيد لإثبات الاستقامة إن كان مدلوله مستقيماً ، وهو قول ابن عباس والضحاك، ثم ذكر القولين الآخرين[6].

وعند أبي السعود ورود للمعاني المذكورة في معنى ﴿قَيِّمًا﴾ ، وقال معلقاً على الثالث منها:.... أو متناهياً في الاستقامة فيكون تأكيداً لما دل عليه نفي العوج مع إفادة

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٢٤٨.

(٢) التفسير الكبير ٢١/٧٥، ٧٦.

(٣) روح المعاني ١٥/٢٠١، ٢٠٢.

(٤) أنوار التنزيل ٢/٣٢٧.

(٥) حاشية الشهاب الخفاجي ٦/٧٢.

(٦) البحر المحيط ٦/٩٤.

كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة، لا أنه نفى عنه العوج مع كونه من شأنه[1].

قلت: تشابه صدر سورة الكهف مع سورة الفرقان في مدح الكتاب المنزل ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية وبيان نزوله للإنذار مقتصراً عليه، لأن السياق في دحض تكذيب الكفار وسلوكهم الباطل في أمر التوحيد والنبوة والقرآن، فناسب الإنذار وإن كان التبشير مفهوماً من آيات أخرى لكن ذانك ما اقتضاه المقام.

وحين تمت قصة الرجلين المؤمن والكافر المغتر بالدنيا وزهرتها الذابلة ولذتها الفانية جاء مثل الحياة الدنيا بياناً لسرعة زوالها واضمحلال زهرتها، ثم استطرد إلى تقرير حقيقة البعث الدامغة ومشهد مهول من مشاهد اليوم الآخر، وهو اتصال حسن بليغ إذ من جافى عن دار الغرور فإنه ذاكر للآخرة واضعها نصب عينيه، ومن ركن إليها أنسته دار الفناء الدار التي لا تبلى زينتها ولا تدرس مباهجها، وخاسر مغرور من استعاض عن الباقية بالفانية، والله أعلم.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

الآية مثل آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المؤمنين[2].

وقيل نحواً مما تقدم: لما بين تعالى في المثل الأول حال الكافر والمؤمن وما آل إليه وما افتخر به الكافر من الهلاك، بين في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم والترفه إلى الهلاك[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/٤٩١، ٤٩٢.

(٢) التفسير الكبير ٢١/١٣١.

(٣) البحر المحيط ٦/١٢٦.

وقيل: لما أتم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي أبطرتهم فكانت سبب إشقائهم وهم يحسبون أنها عين إسعادهم، ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس في قلة بقائها وسرعة فنائها، وأن من تكبر بها كان أخس منها[1].

وكل ما تقدم متطابق إنما تنوعت عبارتهم وتعددت إشارتهم.

النكات واللطائف:

(١) – ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ تنبيهاً على بليغ القدرة في إمساكه في العلو وإنزاله في وقت الحاجة على الوجه النافع[2].

(٢)– ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾.

إما أن يختلط النبات بعض أنواعه بالبعض الآخر ويشتبك ويصير في غاية الحسن والزينة.

وإما أن يختلط الماء بالنبات حتى يروى ويرف رفيفاً، وكان الأصل (فاختلط بنبات الأرض)، ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منها بصفة صاحبه[3].

قال أبو السعود بعد ذكر الوجهين: وإيثار ما عليه النظم الكريم ؛ للمبالغة في الكثرة ، فإن كلاً من المختلطين موصوف بصفة صاحبه[4]، وكلامه تقدم به البيضاوي[5] وشرح ما تقدم أن الاختلاط اجتماع شيئين متداخلين سواء كانا مائعين أو لا، فإن كانا مائعين سمي مزجاً، وصدق بحسب اللغة على كلٍ منهما أنه مختلط ومختلط به، لكن في عرف اللغة والاستعمال تدخل الباء على الكثير الغير الطارئ، فلذا جعل هذا من القلب، ولما

---

(١) نظم الدرر ٦٧/١٢.

(٢) نظم الدرر ٦٨/١٢.

(٣) الكشاف ٥٩٠/٣، التفسير الكبير ١٣١/١٢، أنوار التنزيل ٣٤١/٢، روح المعاني ٢٨٥/١٥، ٢٨٦.

(٤) إرشاد العقل السليم ٥٢٥/٣.

(٥) أنوار التنزيل ٣٤١/٢.

كان القلب مقبولاً إذا كان فيه نكتة، والنكتة هي أن كلاً منهما مختلط ومختلط به، وهي المبالغة في كثرة الماء حتى كأنه الأصل الكثير[١].

هذا من تحشية الخفاجي على متن البيضاوي.

(٣)- ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾.

وإنما وقع بالفاء في النظم؛ لاتصال أوله بآخر ما قبله، والنكتة فيه الإشعار بسرعة زوالها[٢].

(٤) - ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

احتراز عن سائر المياه، ولكون نفعه عاماً خص به، وإلا فسائر المياه كذلك[٣].

(٥) - لما كانت زينة الحياة الدنيا منقضية زائلة وكان المال والبنون التي اتصل ذكرهما بالآية التي فيها المثل اتصالاً مباشراً من زينة الحياة الدنيا كما هو نص الآية كان ذلك إشارة إلى أن المال والبنين سريعة الانقضاء والانقراض[٤].

وعبر البقاعي بقوله: الفانيان الفاسدان وهي أجل ما في هذه الدار من متاعها ﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ التي لو عاش الإنسان جميع أيامها لكان حقيقاً لصيرورة ما هو فيه منها إلى زوال بالإعراض عنها والبغض لها[٥].

(٦) - ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ جملة معترضة في آخر الكلام موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها وترتيب أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب[٦].

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي ١٠٥/٦، وهو عند القونوي بنحوه في حاشيته ٩٣/١٢.
(٢) حاشية الشهاب الخفاجي ١٠٦/٦.
(٣) حاشية القونوي ٩٢/١٢.
(٤) التفسير الكبير ١٣١/٢١.
(٥) نظم الدرر ٦٩/١٢.
(٦) التحرير والتنوير ٣٣٢/١٥.

(٧) – ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ وجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال سيئ ، وهذا تشبيه معقول بمحسوس؛ لأن الحال المشبهة معقولة إذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة[1].

(٨) – ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾.

ذكر الأرض بعد ذكر السماء فحسن الطباق[2].

المطلب السابع : آيتا الفرقان

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

سورة الفرقان مكية النزول، وهي مصدرة بمدح الله نفسه بكثرة الخير والبركة على إنزال الفرقان نذيراً للعالمين، والفاصل بين النزولين ست وأربعون آية.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

بدأت هذه السورة بتبارك وختمت بذلك كما يقول السيوطي[3]، وهذا تناسب بين مقطعها الأول والمقطع الأخير منها، وإلا في بعد قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ **[الفرقان: ٦١]** جزء يمثل قريباً من ربع السورة ، وهي مناسبة لفظية على كل حال لا مناسبة في الموضوع ورباطا في القضية.

المناسبة / قال الآلوسي: لما ذكر جل وعلا في آخر السورة السابقة وجوب متابعة المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم ومدح المتابعين وحذر المخالفين ، افتتح سبحانه

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/٣٣١.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/٣٣١.

(٣) مراصد المطالع ص ٥٧.

هذه السورة بما يدل على تعاليه جل شأنه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله، أو على كثرة خيره تعالى ودوامه، وأنه أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً؛ إطماعاً في خيره وتحذيراً من عقابه[1].

النكات واللطائف:

(١) – ﴿ تَبَارَكَ ﴾ قال ابن القيم: وأما صفة ﴿ تَبَارَكَ ﴾ فمختصة به تعالى كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]،... أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كـ تعالى وتعاظم ونحوها... فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمها وسعتها[2].

قال البقاعي: وهو مختص بالله تعالى لم يستعمل لغيره، ولذلك لم ينصرف لمستقبل ولا اسم فاعل[3].

وقاله البيضاوي كذلك[4]، والنسفي[5].

قلتُ: وهذه السورة أكثر سور القرآن وروداً لفظة تبارك مضافة إلى الله تعالى، فقد وردت في أولها ووسطها وآخرها.

وزاد الكرماني: ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي وجاءت في هذه السورة في ثلاثة مواضع، وخصت هذه المواضع بالذكر؛ لأن ما بعدها عظائم[6].

---

(١) روح المعاني ٢٣٠/١٨.
(٢) بدائع الفوائد ٦٨١،٦٨٠/٢.
(٣) نظم الدرر ٣٣٠/١٣.
(٤) أنوار التنزيل ٥١٢/٢، قال القونوي معلقاً: لأنه كلمة تعظيم لا تليق إلا بالعظيم، حاشية القونوي ٥/١٤.
(٥) مدارك التنزيل ٥٢٤/٢.
(٦) البرهاني للكرماني ١٣٠ .

(٢) – لا نزاع أن الفرقان هو القرآن... واعلم أنه سبحانه وتعالى لما قال أولاً: ﴿تَبَارَكَ﴾ ومعناه كثرة الخير والبركة، ثم ذكر عقبه أمر القرآن دل ذلك على أن القرآن منشأ الخيرات وأعم البركات، لكن القرآن ليس إلا منبعاً للعلوم والمعارف والحكم فدل هذا على أن العلم أشرف المخلوقات وأعظم الأشياء خيراً وبركة، قاله الرازي[١].

قلتُ: وهذا ملمح في غاية النفاسة والجودة.

وترتب البركة على إنزال الفرقان ؛ لما فيه من الخير أو لدلالته على تعاليه[٢].

(٣) – ﴿عَبْدِهِۦ﴾.

كل ما جاء في القرآن من لفظ (عبد) مفرداً مضافاً إلى هاء الضمير العائد إلى الله تعالى فالمراد به النبي صلى الله عليه وسلم [٣].

ووصف بالعبودية في موطن إنزال القرآن كما وصفه بذلك ليلة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء : ١]، ووصفه بذلك في مقام الدعوة ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن : ١٩]، ؛ لأن مقام العبودية أشرف أحواله[٤].

والمعنى: وصف بأشرف الأحوال وهو حال العبودية في أشرف المقامات.

ونقل القرطبي عن العلماء: لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٤٥/٢٤.

(٢) تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي ٥١٢/٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٢/١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٨٣/١٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/١٣.

وقال ابن عاشور: ووصف النبي بـ ﴿عَبۡدِهِۦ﴾ تقريب له وتمهيد لإبطال طلبهم منه في قوله ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان:٧]، [١].

(٤) – في استفتاح السورة بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ براعة استهلال أو افتتاح بديع كما هي عبارة ابن عاشور؛ لندرة أمثاله في كلام البلغاء العرب؛ لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقترنة بحرف غير منفصل[٢].

(٥) – ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وإنما اقتصر على النذارة؛ للإشارة إلى البشارة بلفظ ﴿تَبَارَكَ﴾، ولأن المقام لها لما ختم به تلك من إعراض المتولين عن الأحكام ونفي الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام، وفيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة ا.هـ[٣].

وقال الطيبي: وفي اختصاص النذير دون البشير سلوك طريق براعة الاستهلال والإيذان بأن هذه السورة مشتملة على ذكر المعاندين المتخذين لله ولداً وشريكاً، الطاعنين في كتبه ورسوله واليوم الآخر[٤].

قال الآلوسي: وهو من الحسن بمكان[٥]، وفي معنى ما تقدم عند أبي السعود[٦].

وزاد ابن عاشور على ما ذُكر أن ذلك اكتفاء؛ لأن البشارة تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة[٧].

(٦) – ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/٣١٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٨/٣١٥.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٣/٣٣١، ٣٣٢.

(٤) فتوح الغيب ٧/٤٢٠.

(٥) روح المعاني ١٨/٢٣١.

(٦) إرشاد العقل السليم ٤/١٥٥.

(٧) التحرير والتنوير ١٨/٣١٧.

وإيثار اسم الفرقان بالذكر هنا ؛ للإيماء إلى أن ما سيذكر من الدلائل على الوحدانية وإنزال القرآن دلائل قيمة تفرق بين الحق والباطل[1].

(٧) – ﴿ نَزَّلَ ﴾

هذه اللفظة تدل على التفريق ولفظة (أنزل) على الجمع.[2]

ومضى في التفريق أنها تومئ إلى أنه نزول مفرق نجوماً لم ينزل دفعة واحدة.

(٨) – كيف عقبت لفظة ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وهي تدل على كثرة الخير والبركة بالإنذار الذي يوجب الغم والخوف؟ ، هذا تساؤل عرضه الرازي وأجاب عنه مسدداً بقوله: إن هذا الإنذار يجري مجرى تأديب الولد، وكما أنه كلما كانت المبالغة في تأديب الولد أكثر كان الإحسان إليه أكثر، لما أن ذاك يؤدي في المستقبل إلى المنافع العظيمة. فكذا ههنا كلما كان الإنذار كثيراً كان رجوع الخلق إلى الله أكثر فكانت السعادة الأخروية أتم وأكثر، وهذا كالتنبيه على أنه لا التفات إلى المنافع العاجلة[3].

الآية الثانية: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا** ﴾ [الفرقان: ٤٨].

الآية في منظومة مجموعة من الآيات الكونية والبراهين الربانية الشاهدة على خلقه وإتقان صنعته وبديع تصرفه وتصريفه للأمور، مبتدأة بالحض على الرؤية بالبصر المؤدي إلى عقل البصيرة ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾ **[الفرقان: ٤٥].**

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٧/١٨.

(٢) التفسير الكبير ٤٥/٢٤.

(٣) التفسير الكبير ٤٥/٢٤، ٤٦.

المناسبة / قال أبو السعود: بيان لبعض دلائل التوحيد إثر جهالة المعرضين عنها وضلالتهم[1].

ولما كان السحاب قريبا من الريح في اللطافة، والماء قريبٌ منهما ومسببا عما تحمله الرياح من السحاب أتبعهما به.[2]

وهذا استدلال على الانفراد بالخلق وامتنان بتكوين الرياح والأسحبة والمطر، ومناسبة الانتقال من حيث ما في الاستدلال الذي قبله من ذكر حال النشور والامتنان به فانتقل إلى ما في الرياح من النشور بذكر وصفها فإنها نُشُر[3].

النكات واللطائف:

(١) – ﴿مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ كيف ذكر الصفة والموصوف مؤنث؟

الجواب: ذكرها نظراً إلى معنى البلدة، وهو البلد والمكان لا إلى لفظها.

وإن قيل: إنزاله موصوفاً بالطهورية وتعليل ذلك بالإحياء والسقي ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] يشعر بأن الطهورية شرط في حصول تلك المصلحة وليس كذلك، فما الجواب عنه؟ قيل: وصف الطهورية ذكر إكراماً للأناسي الذين شربهم من جملة المصالح التي تنزل لها الماء وإتماماً للنعمة والمنة عليهم، لا لكونه شرطاً في تحقيق تلك المصالح والمنافع[4].

(٢) – ﴿وَأَنزَلْنَا﴾.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/١٨٥، و مثله عند أبي حيان في البحر المحيط ٦/٤٦٠.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٣/ ٤٠٠،٤٠١ .

(٣) التحرير والتنوير ١٩/٤٦.

(٤) غرائب آي التنزيل، زين الدين الرازي ٣٦٥، ٣٦٥، وأوله عند البيضاوي في أنوار التنزيل ٢/٥٢٦، وبنحوه في المحرر الوجيز ٦/٤٤٤.

غير الأسلوب بإضافة الإنزال إلى ضمير العظمة لنكتة وهي : أن في إنزاله من الدلالة على العظمة بإيجاده وإمساكه ثم إنزاله في الوقت المحدد والمكان المختار على حسب الحاجة ما لا يخفى فغير الأسلوب من الغيبة إلى الخطاب ومن ضمير الغيبة إلى العظمة[1].

وقيل: لإبراز كمال العناية بالإنزال ؛ لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أي: أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماءً بليغاً في الطهارة[2].

هذه عبارة أبي السعود : وقوله (بما رتبنا) ما أدري ماهي ؟، وأحسن منها (بما قدرنا).

(٣)- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

قراءة بالجمع أوجه عند ابن عطية ؛ لأنها على القاعدة التي تستعمل فيها اللفظة مجموعة في سياق الرحمة ، وهنا وصفها زيادة بأنها مبشرة يعني بالغيث والخير والنبات، ومن قرأ بإفراد الريح فهي على إرادة الجنس[3].

قال أبو حيان عن قول ابن عطية: ولا يسوغ أن يقال هذه القراءة أوجه ؛ لأن كلاً من القراءتين متواتر[4].

(٤) - ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ استعارة مليحة.

بين يدي رحمته يعني: قدام المطر، من باب أن البشير يتقدم المبشر به[5].

(٥) - ﴿طَهُورًا﴾.

بليغاً في الطهارة، و(طهور) فعول أبلغ من فاعل، والقول بأن الطهور: الطاهر في نفسه المطهر لغيره هو شرح لبلاغته في الطهارة.[6]

---

(١) نظم الدرر ١٣/٤٠٠،٤٠١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٨٧، ١٨٨.

(٣) التيسير للداني ٧٨ ، الحجة لابن خالويه ٩١ ، المحرر الوجيز ٦/٤٤٣

(٤) البحر المحيط ٦/٤٦٢.

(٥) الكشاف ٤/٣٥٥، حاشية الشهاب الخفاجي ٦/٤٢٩ .

(٦) الكشاف ٤/٣٥٥، المحرر الوجيز ٦/٤٤٤، الجامع لأحكام القرآن ١٥/٤٢٢، البحر المحيط ٦/٤٦٢، ٤٦٣،. الدر المصون ٨/ ٤٧٨، التحرير والتنوير ١٩/٤٧ – ٤٨ .

قال ابن عطية: هذه المبالغة اقتضت في ماء السماء، وفي كل ما هو منه وبسببه أن يكون طاهراً ومطهراً[1].

قال ابن العربي: وأجمعت الأمة لغة وشريعة على أن وصف (طهور) مختص بالماء ولا يتعدى ذلك إلى سائر المائعات وهي الطهارة ، فكان اقتصارهم بذلك على الماء أدل دليل على أن الطهور هو المطهر[2].

قال البيضاوي: وتوصيف الماء به إشعاراً بالنعمة فيه، وتتميماً للمنة فيما بعده، فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مما يزيل طهوريته، وتنبيهاً على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها، فبواطنهم أولى بذلك[3].

(٦) – ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ مضى النكتة في هذه المفردة عند قوله تعالى في سورة الحجر ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾.

(٧)– ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ﴾.

ذكرهما ووصفهما بالكثرة وخصهما بالذكر؛ لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار فهم في غنية عن سقي السماء ، وكثير منهم نازلون البوادي فلا يجدون المياه للشرب إلا عند نزول المطر[4].

وقدم في الآية إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي ؛ لأن حياة الأناس بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعيشتهم على سقيهم، لأنهم إذا ظفروا بما يكون سقياً لأرضهم ومواشيهم فقد ظفروا أيضاً بسقياهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٦/٤٤٤.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٤٣٦.

(٣) أنوار التنزيل ٢/٥٢٦.

(٤) الكشاف ٤/٣٦١، التفسير الكبير ٢٤/٩١، أنوار التنزيل ٢/٥٢٦، مدارك التنزيل للنسفي ٢/٥٤٢، إرشاد العقل السليم ٤/١٨٨، حاشية الخفاجي ٦/٤٣٠ .

هذا جواب الرازي وهو مستل من كلام الزمخشري قبله، وبه تقول طائفة من أهل التفسير[1].

قال ابن عاشور: ولماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض؛ لأنه لخلوه من الجراثيم ومن بعض الأجزاء المعدنية والترابية التي تشتمل عليها مياه العيون ومياه الأنهار والأودية كان صالحاً بكل أرض وبكل نبات على اختلاف طباع الأرضين والمنابت[2].

وقال في تقديم الأنعام على الأناسى أنه ما اقتضاه نسج الكلام على طريقة الإحكام في تعقيبه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾، ولو قدم ذكر (أناسى) لتفكك النظم[3].

ونكتة تقديم الأنعام على الأناسى التي جاء بها ابن عاشور حسنة، فيها مراعاة للنظم وسياق ما سيأتي في الآية بعدها من تصريفه للذكرى فكان تأخير الأناسى في غاية الحسن والتوافق والسبك للكلام، لكن هذه النكتة لا تلحظ غير مراعاة النظم ويفوت اقتراح معاني لطيفة في التقديم ركوناً إلى ذلك الملحظ.

وقال الرازي: لم خص الإنسان والأنعام بالذكر دون الطير مع انتفاع الكل بالماء؟

وأجاب بأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب، بخلاف الأنعام؛ لأنها قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام بسقي أنعامهم كاالإنعام عليهم بسقيهم ا.هـ[4].

قلت: صدر السورة بذكر القرآن وإنزاله وانساق الحديث القرآني بعدها إلى قضية التوحيد والألوهية والنبوة ورد مزاعم المشركين في قضيتين أحدهما متلازمة مع الأخرى هما: التوحيد والنبوة.

---

(1) الكشاف ٤ /٣٦١، التفسير الكبير ٢٤/٩١، أنوار التنزيل ٢/٥٢٦، مدارك التنزيل للنسفي ٢/٥٤٢.

(2) التحرير والتنوير ١٩/٤٨.

(3) التحرير والتنوير ١٩/٤٨.

(4) التفسير الكبير ٢٤/٩١.

وكان إنزال غيث السماء في منظومة آيات ودلائل تشهد لانفراده تعالى بالتوحيد والقدرة والخلق، ودحض لكفر الكافرين وارتياب المرتابين، وتصدير المقطع باسم الربوبية ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ عنوان لهذه المربوبات التي بيده تعالى أمر خلقها وتدبيرها وتصريف شؤونها.

وتجملت السورة بـ تبارك التي هي في أول السورة على إنزال القرآن، وتبارك الثانية على قدرته تعالى المطلقة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [الفرقان: ١٠].

والثالثة على خلقه وحسن صنعته ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٦١].

ومن غرر اللطائف أن سورة الفرقان أكثر سورة جاءت فيها لفظة (تبارك) والقرآن مبارك في نزوله وفي هداه وفي نوره وفي من اشتغل به وفي كل شأن من شؤونه، فتبارك الله منزل الكتاب المتكلم به حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

المطلب الثامن: آيتا سورة العنكبوت

﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

هاتان الآيتان من سورة العنكبوت المكية تصدرهما الاستفهام واقترنا في أواخر السورة متقدمة آية نزول الكتاب على آية نزول الغيث من السماء، وفصل بينهما اثنتا عشرة آية.

الآيــة الأولــى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

المناســبة /الآيــة رد علــى الــذين قــالوا: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: أولـم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين، هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان[١].

النكات واللطائف:

(١) – ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ استفهام تعجبي إنكاري[٢].

(٢) – ﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ اختير المضارع ؛ للاستمرار ودوام تلاوته في كل زمان ومكان، فتحصل من مادة (يتلى) ومن صيغة المضارع دلالته على عموم الأزمنة والأمكنة[٣].

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ لفظة جليلة تبني عن كون القرآن آية فوق الكفاية[٤].

(٣) – ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.

وضع إنا أنزلنا عليك الكتاب موضع القرآن فاشتمل على صفة التعظيم فدل على عظمة المنزل، فإن اللام في الكتاب للجنس فدل على الكمال أو للعهد[٥].

(٤) – الآية رد على منكري القرآن بأبلغ وجه وبيان، فمن لم يؤمن بالمعجزة التي هذا شأنها وهذه أوصافها، فكيف يؤمن بالآيات التي لا تبقى مرور الدهر؟ [٦].

(٥) – ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ ﴾.

---

(١) البحر المحيط ١٥٢/٧، المحرر الوجيز ٦ /٦٥٤، إرشاد العقل السليم ٤ /٣٤٢، روح المعاني ٢١ /٦.

(٢) روح المعاني ٦ /٢١، التحرير والتنوير ٢١ /١٤.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣ /، حاشية القونوي ٧٤/١٥، التحرير والتنوير ٢١ /١٤.

(٤) التفسير الكبير للرازي ٨٠/٢٥ .

(٥) حاشية ابن التمجيد ٧٤/١٥.

(٦) حاشية القونوي على البيضاوي ٧٤/١٥.

المشار إليه الكتاب وصيغة البعد للتفخيم... وفيه إشارة إلى أن الكتاب فيه أمور كثيرة غير ما ذكرهنا[1].

قال ابن عاشور: وقد أشار بـ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ وما بعده إلى خمسة مزايا للقرآن، دون غيره من المعجزات:

أ – يتلى عليهم من انتشار إعجازه وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة بحيث لا يختص بإدراك إعجازه، فريق خاص في زمن خاص.

ب – كونه يتلى، فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أموالاً مرئية ؛ لأن إدراك المتلو إدراك عقلي فكري، وهو أعلى من المدركات الحسية.

ج – ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً ﴾ واردة هو والتعليل للتعجيب من عدم اكتفائهم بالكتاب... وتنكير رحمة للتعظيم.

د – ﴿وَذِكْرَىٰ ﴾ فإن القرآن مشتمل على مواعظ ونذر، وتعريف بعواقب الأعمال وإعداد إلى الحياة الثانية.

هـ – أن كون القرآن كتاباً متلواً مستطاعاً إدراك خصائصه لكل عربي ولكل من حذق العربية من غير العرب يبعده عن مشابهة نفثات السحر والطلاسم[2].

(٦) – ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

دون أن يقال للمؤمنين ؛ لما في لفظ قوم من الإيحاء إلى أن الإيمان من مقومات قوميتهم أي : لقوم شعارهم أن يؤمنوا يعني : لقوم شعارهم النظر والإنصاف[3].

---

(١) حاشية القونوي على البيضاوي ١٥/٧٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢١/١٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/١٦.

الآيـة الثانيـة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

أعيد أسلوب السؤال والجواب ؛ ليتصل ربط الأدلة بعضها ببعض على قرب[١].

ويقصد بالأدلة ما سبق قبل هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

﴿ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ أشبهت هذه الآية في هذه الجملة ما ورد في آية النحل المتقدمة إلا أنها هنا بزيادة (من) ، وفي النحل بحذفها وسر ذلك عند ابن عاشور: (من) زيادة للتأكيد[٢].

وقال الإسكافي: إن التقرير يؤثر فيه من تحقيق الكلام ما لا يؤثر في غيره، والظروف إذا حدَّت حقّقت تقول: سرت اليوم ، فإن قلت : من أوله إلى آخره كان الحد تحقيقاً ؛ لأنه قد يطلق لفظ اليوم وإن ذهبت ساعة أو ساعتان من أوله وإن بقيت ساعة أو ساعتان من أوله وإن بقيت ساعة أو ساعتان من آخره ، فإذا وقع الحد زال هذا الوهم.

قوله: ﴿ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ تحقيق، لأنه محدود بـ (من) وخص به التقرير؛ لأنه من أماكنه.

والآيتان الأخريتان – يقصدُ ما في البقرة والنحل – ليس فيها تقرير[٣].

وقال ابن جماعة: أن الأرض يكون إحياؤها تارة عقيب شروع موتها ، وتارة بعد تراخي موتها مدة ، فآية العنكبوت تشير إلى الحالة الأولى ؛ لأن (مِن) لابتداء الغاية فناسب ذلك ما تقدم من عموم رزق الله تعالى خلقه[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٨، ٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٨، ٢٩.

(٣) درة التنزيل ٣/ ١٠٢٤، ١٠٢٥.

(٤) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة ص ٢٩٢.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة ، أو على تصديقك وإظهار حجتك[1].

قال الخفاجي: فيكون كالحمد عند رؤية المبتلى ، وعلى ما بعده هو حمد على ما أنعم به عليه[2].

وقيل: استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به، ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه، ولم يكن إقراراً عاطلاً كإقرار المشركين ، وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم[3].

وقيل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إظهار الحجة واعترافهم بما يلزمهم[4].

وقال القونوي باسطاً قول البيضاوي: ولم يحمل- يعني الماتن البيضاوي - الحمد على الحمد على هذه النعمة وهي إنزال المطر والماء الذي مادة كل حيوان ؛ لأنها نعمة عامة ، والأمر له عليه السلام يناسب كون النعمة مختصة[5].

وجعله الرازي محتملاً لأن يكون كلاماً معترضاً في أثناء الكلام كأنه قال: (فأحيا به الأرض من بعد موتها بل أكثرهم لا يعقلون) ، فذكر في أثناء هذا الكلام (الحمد) لذكر النعمة، وأن يكون المراد منه كلاماً متصلاً وهو أنهم يعرفون بأن ذلك من الله ويعترفون، ولا يعملون بما يعلمون، وأنت تعلم وتعمل ، فكذلك المؤمنون بك فقل : الحمد لله

---

(1) أنوار التنزيل ٣ /٤٢ .

(2) حاشية الشهاب الخفاجي ١٠٩/٧.

(3) الكشاف ٥٥٩/٤.

(4) روح المعاني ١٢/٢١.

(5) حاشية القونوي ٨٧/١٥.

وأكثرهم لا يعقلون أن الحمد كله لله فيحمدون غير الله على نعمة هي من الله... أو أن الحمد لله على ظهور تناقضهم حيث يقولون : إنه من الله ويقولون بألوهية غير الله فيظهر تناقض كلامهم وتهافت مذهبهم ، وهذا هو الاحتمال الثالث(١).

يقول ابن عاشور: فانتظم من هذه الآيات المفتتحة بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إلى هنا أصول صفات أفعال الله تعالى وهي الخلق، الرزق، الإحياء، الإماتة، من أجل ذلك عقب بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمد الله بكلام يدل على تخصيصه بالحمد(٢).

ويفهم من تقرير ابن عاشور أن الحمد المأمور به النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحجج التي لقنها الله رسوله بكتابه ، وما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان(٣).

وجدير بالذكر أن قضية القرآن وإظهار حججها ودحض شبه الكافرين وإبطال كذبهم جاء في شق السورة الأخير بدءاً من قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت:٤٥] ثم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت:٤٧] والبرهان الدامغ أنه من عند الله لم يأتِ به رسوله من تلقاء نفسه فلم يكن يقرأ ولا يخط بيمينه كتاباً.

ووسم القرآن في السورة بـ الكتاب والآيات، وما بين النزولين من قضايا عالجها القرآن ليست بمنأى عن كبرى الموضوعات المكية ، فمن تهديد المكذبين المستعجلين للعذاب استخفافاً وعناداً إلى جزاء المؤمنين ومصيرهم يوم القيامة فوزاً ونعيماً إلى

---

(١) التفسير الكبير ٩١/٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٢١.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٢١ – ٣٠.

عرض دلائل الله وبيناته من خلق الكواكب وتسخيرها وصورة الماء الذي تحيا به الأرض بعد همودها وتحترك بالنبات إثر جمودها، والله أعلم.

المطلب التاسع : آيتا الزمر

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣].

لم يكن فصل بين النزولين وما يظن أن قوله ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ ﴾ [الزمر: ٢٢] المتوسطة بينهما حائل بين الاقتران المتصل فليس كذلك، بل هو توطئة للنزول القرآني، وفيه إشارة إلى القرآن ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢] ، وعليه فهذا مورد يضم إلى ما أتى فيه النزولان على وجه الاتصال لا الانفصال، وقد سبقت آية النزول المائي النزول القرآني.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٢١].

المناسبة:

اعلم أنه لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة لأولي الألباب فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها[١].

وقيل: لما أخبر سبحانه بقدرته على البعث دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها وحث المصطفى بالخطاب ؛ حثاً على تأمل هذا الدليل تنبيهاً على عظمته[٢].

النكات واللطائف:

(١)– ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤٨٣/١٦.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٦٤/٢٦.

حث المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخطاب حثاً على تأمل هذا الدليل تنبيهاً على عظمته[1].

وردت آية الزمر مورد التنبيه على الاعتبار وبالنصية على ذلك افتتحت الآية فقال تعالى خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم، والمراد هو وأمته[2].

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ نسب سبحانه كل حالة من تقلبات الزرع إلى نفسه، وتنقلاته من لدن خروجه ونباته وما بعد ذلك إلى تخلصه إلى نفسه، إذ لا طمع لمخلوق في إعادة شيء من ذلك[3].

(٢)– ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ وجه ذلك أن الأفعال التي نسق هذا الفعل في سورة الزمر هنا هي أفعال الله تعالى ؛ لأنه قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فهو معطوف على قوله: ﴿يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ بخلاف سورة الحديد وفيها ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾[4].

٣ – ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ المضارع لاستحضار الصورة[5].

٤ – ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾،

وما فيه من معنى البعد ؛ للإيذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه[6]، وقاله على سبيل التأكيد ؛ للتنبيه على أن إنكارهم غاية في الحمق والجمود[7].

---

(١) نظم الدرر ٤٨٣/١٦.

(٢) ملاك التأويل ٩٨٧/٢.

(٣) ملاك التأويل ٩٨٨/٢.

(٤) درة التنزيل للإسكافي ١٢٥٥/٣.

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٠٧/٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) نظم الدرر ٤٨٥/١٦.

٥ – ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ اختير ثم هنا والفاء في قوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ إذ ظهر الزرع بعد مدة والسلوك عقب الإنزال، وتنكير ﴿زَرْعًا﴾ للتكثير(١).

٦ – أنه أريد بالزرع معناه الحقيقي فاكتفى ولم يذكر سائر النباتات ؛ لأن الزرع أكثر نفعاً وأوفر معونة ولك أن تقول: إنه أعم من كل نبات مجازاً بذكر المقيد وإرادة المطلق(٢).

٧ – عبر بـ (ثم) لما كان إخراج النبات متراخياً عن نزول المطر ، وفيه أيضاً تنبيه على تعظيم الأمر فيما تلاها بأنه محل الشاهد فقال: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ﴾ أي الله، ولما كان اختلاف المسبب مع اتحاد السبب أعجب في الصنعة وأدل على بديع القدرة قال ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾(٣).

٨ – ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾.

لما كان الإيقاف بعد قوة الإشراف دالاً على القهر ونفوذ الأمر قال ذلك ؛ إشارة إلى أن الخروج عن الحد غير محمود في شيء فإنه يعود عليه بالنقص.

وزاد في تعظيم هذا المعنى للحث على تدبره بإسناده إلى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فَتَرَىٰهُ﴾(٤).

٩ – ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ لكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالإخراج(٥).

---

(١)حاشية القونوي ٥٠٦/١٦.

(٢)حاشية ابن التمجيد على البيضاوي ٥٠٦/١٦.

(٣) نظم الدرر ٤٨٤/١٦.

(٤) نظم الدرر ٤٨٤/١٦.

(٥) روح المعاني ٢٥٦/٢٣.

وعند ابن عاشور: إدماج للتذكير بحالة الممات واستواء الناس فيها من نافع وضار، ويجوز أن يكون المعنى أصالة وإدماجاً على عكس ما بيَّنا فيكون عوداً إلى الاستدلال على تفرد الله بالألوهية بدليل من مخلوقاته التي يشاهدها الناس مشاهدة متكررة(١).

١٠- تضمنت الآية سبعة أدلة على قدرة الله وتفرده بالوحدانية فصَّلها ابن عاشور في تفسيره(٢)، وهذا من عجيب البراهين أن تحوي آية واحدة هذه الأدلة العظام.

وهل هذه الآية بما فيها من صور ومشاهد غرضها تمثيل الحياة الدنيا وزوالها وحقارتها عقب أن عرض للحياة الآخرة ؟، أو هي أدلة وآيات على تفرد المولى بالألوهية واختصاصه بالوحدانية ؟ ، قولان لأهل التفسير ، وقول ثالث أنها مثل للقرآن، ورابع أنها لبيان قدرته على البعث والنشور، وهو ظاهر قول الطبري، وعلى الأول الرازي ، وأبو السعود، وابن كثير، وبالثاني يقول الواحدي ، وابن عاشور -وإن تنوعت لديه وجوه التمثيل- (٣).

قال أبو السعود مرجحاً للأول: وأما ما قيل إن في ذلك تذكيراً وتنبيهاً على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فمبعزل عن تفسير الآية الكريمة، وإنما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والأفعال الجميلة من غير إسناد لها إلى مؤثر ما ، فحيث ذكرت مسندة إلى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى(٤).

---

(١) التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٣.

(٣) البسيط ٢٩١/١٩، التفسير الكبير ،تفسير ابن كثير ١٢٢/١٢، التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٣، ٣٧٨، جامع البيان ١٨٩/٢٠، إرشاد العقل السليم ٦٠٨/٤.

(٤) إرشاد العقل السليم ٦٠٨/٤.

وعلى احتمال القولين الأولين عبارة ابن الجوزي، والزمخشري، والبيضاوي والألوسي[1].

وجعله القرطبي إما دليلاً على البعث أو هو مَثَل ضربه الله للقرآن ولصدور من في الأرض، أو مثل ضربه الله للدنيا[2].

الآية الثانية ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

استئناف بياني نشأ بمناسبة للمضادة بين مضمون جملة ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر:٢٢] ومضمون ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣] وهذه الجملة تكميل للتنويه بالقرآن المفتتح به غرض السورة[3].

النكات واللطائف:

(١)- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ﴾.

تفخيم للمنزل بإسناده إلى الله الذي هو أعظم من كل عظيم... ولذا قيل: التفخيم من إفادته التخصيص.

بناءً على مذهب الزمخشري في مثله، فإن اختصاصه به يقتضي أنه أمر عظيم لا يقدر عليه غيره، وقيل: أصل التفخيم حاصل بالإسناد والمراد زيادته بالتأكيد[4].

ومثله عند ابن عاشور[5]، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للحصر وصيغة المضيى لتغليب ما أنزل على ما لم ينزل بعد[6].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٩٩ ، زاد المسير ٧/ ١٧٢ ، أنوار التنزيل ٣/ ١٨٧، روح المعاني ٢٣/ ٢٥٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٦٤.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٨٤.

(٤)التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧٤، البحر المحيط ٧/ ٤٠٥،، حاشية الخفاجي على البيضاوي ٧/ ٣٣٦، روح المعاني ٢٣/ ٢٥٨ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٨٤.

(٦) نظم الدرر ١٦/ ٤٨٨.

﴿نَزَّلَ﴾ أي : بالتدريج للتدريب وللجواب عن كل شبهة[1].

وقال بعضهم: مفاد هذا التقديم على الخبر الفعلي فيه تحقيق لما تضمنته الإضافة من التعظيم لشأن المضاف في قوله: ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

وجعل الزمخشري ونقل عنه الآلوسي شارحاً موضحاً إيقاع اسم (الله)مبتدأ وبناء ﴿نَزَّلَ﴾ عليه يكسبه خمس فوائد:

١– تفخيم لأحسن الحديث فهو من باب (الخليفة عند فلان).

٢ – واستشهاد على أحسنيته فلكونه ممن لا يتصور أكمل منه بل لا كمال لشيء ما في جنبه بوجه.

٣ – وتأكيد الاستناد إلى الله ، وهو من التقوى.

٤ – أن مثله لا يمكن أن يتكلم به غيره وذلك لمكان التناسب؛ لأن أكمل الحديث إنما يكون من أكمل متكلم ضرورة.

٥ – وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث[3].

(٢)– ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾.

استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث[4].

ولما كان التكرار يُملّ ذكر أن من خصائص هذا الكتاب أنه يطرب مع التكرار ويزداد حلاوة، ولو ثني آناء الليل وأطراف النهار

﴿تَقْشَعِرُّ﴾ من القشع وزيد حرفاً لزيادة المعنى.

---

(١) حاشية القونوي ٥١١/١٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣٨٣/٢٣.

(٣) الكشاف ٢٩٩/٥، ٣٠٠ ، روح المعاني ٢٥٨/٢٣ .

(٤) روح المعاني ٢٥٨/٢٣.

اختير حروف التكرار؛ إشارة إلى المبالغة وكونه حرف التكرير أشد للمناسبة[1].

وعند الزمخشري والألوسي– ناقلاً عنه– زيد إليه الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد، والمراد : تصوير خوفهم بذكر لوازمه المحسوسة ويطلق عليه التمثيل وإن كان من باب الكناية.

وقيل: هو تصوير للخوف بذكر آثاره وتشبيه حالة بحالة فيكون تمثيلاً حقيقة[2].

(٣)– قال الزمخشري ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ كيف وصف الواحد بالجمع؟ قلت: إنما صح ذلك ؛ لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير[3].

فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟

قلت: النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله...[4].

(٤)– فإن قلت: لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً؟

قلت: إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنهم قيل: تقشعر جلودهم من آيات الوعيد، وتخشى قلوبهم في أول وهلة، فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم، وبالقشعريرة ليناً في جلودهم[5].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٦/٤٨٩، ٤٩٠.

(٢) الكشاف ٥/٣٠١ ، روح المعاني ٢٣/٢٥٩ .

(٣) الكشاف ٥/٣٠٠.

(٤) الكشاف ٥/٣٠٠ –٣٠١.

(٥) الكشاف ٥/٣٠١.

أو المراد أن ذكر الخشية أولاً في قوة ذكر القلوب فكأنها مذكورة فيهما ، وإنما خص بالذكر ثانياً ؛ لأنه يوصف باللين ولا يصح وصفه بالاقشعرار[1].

وقال الرازي: لم قال في جانب الخوف قشعريرة الجلود فقط ، وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معاً؟؛ لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف؛ لأن الخير مطلوب بالذات، والشر مطلوب بالعرض ، ومحل المكاشفات هو القلوب والأرواح[2].

(٥)- ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

ضمن ﴿تَلِينُ﴾ معنى (تطمئن) جلودهم (لينة) غير منقبضة ، ﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾ راجية غير خاشية ، ولذلك عداه بـ (إلى) وكأن في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثرها عند السماع، فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب ؛ لقيام المسبب قيام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما، وفي ذكر اللين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله، كما كان في قوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ دليل بقوله: ﴿وَجِلَتْ﴾ عن ذكر المحذوف أي: إذا ذكر وعيد الله وبطشه[3].

وعند البقاعي: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ قدم ما صرح فيه بالاقشعرار الذي يلزمه اليبس وأخر القلوب ،إبعاداً لها عن ما يفهم يبساً فيوهم قسوةً ، فقال ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ وذكره لتجدد لين القلوب مع الجلود دالٌ على تقدير اقشعرارها معها من شدة الخشية، فإن الخشية لا تكون إلا في القلب، وكان سر حذف التصريح بذلك تنزيهاً عن ذكر ما قد يفهم من القسوة[4].

---

(١) حاشية الخفاجي على البيضاوي ٣٣٦/٧.

(٢) التفسير الكبير ٢٧٤/٢٦.

(٣) البحر المحيط ٤٠٦/٧.

(٤) نظم الدرر ٤٩٠/١٦.

(٦)– ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أظهر في موضع الإضمار لأحسن الحديث ؛ لئلا توهم أن الضمير للرب فيكون شبهة لأهل الاتحاد وغيرهم من أرباب البدع ، ولم يقل إلى الحديث أو الكتاب مثلاً، بل عدل إلى ما عرف أنه ذكره سبحانه ؛ ليكون أفخم لشأنه، وزاده فخامة بصرف القول عن الوصف المقتضي للإحسان إلى الاسم الجامع للجلال والإكرام[١].

(٧)– وصف القرآن في الآية الكريمة بصفات خمس متعددة متنوعة، أحصاها ووضح معانيها وأطنب في لطائفها الرازي وابن عاشور وغيرهما[٢].

(٨)– ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

إلى رحمة الله وعموم مغفرته، والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة، وأن رحمته سبقت غضبه ، والتعدية بـ (إلى) ؛ لتضمين معنى السكون والاطمئنان، وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها[٣].

وبهذا يظهر حسن المقابلة بينه وبين تقشعر فهو أبلغ من القول ثم تسكن إلخ[٤].

وقال القونوي: الظاهر أن **ثم** للتراخي الرتبي ؛ لأنه لا يجوز أن يوجد إذا سمعوا القرآن ، وفيه من الوعد الباعث للسرور قبل ذلك الخوف زماناً ، وهذا أيضاً كناية عن كمال السرور إذ ليس الجلود عبارة عن عدم تقبضه، فكما أن الانقباض كناية عن شدة الخوف أو استعارة ، كذلك عدم الانقباض كناية عن كمال السرور أو استعارة، وكذا الكلام في لين القلوب كناية أو استعارة إذ أصل اللين ليس بمتحقق فيهما[٥].

---

(١) نظم الدرر ٤٩١/١٦.

(٢) التفسير الكبير ٢٧٢/٢٦ – ٢٧٤، التحرير والتنوير ٣٨٣/٢٣، ٣٨٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٧٤/٢٦، أنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٨/٣.

(٤) حاشية القونوي ٥١٤/١٦.

(٥) حاشية القونوي ٥١٤/١٦.

قلتُ : وسورة الزمر مفتتحة بذكر نزول الكتاب في أكثر من آية ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمـــــر:١] ، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[الزمر: ٢] ، وهذا الاستهلال رفعة لشأن الكتاب وإخبار عن نزوله من الله تبارك وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأن غايته تعبيد الناس رب العالمين، وبعد هاتين الآيتين حديث عن الدين الخالص ومظاهر البراهين في العالم العلوي والسفلي التي تنادي بإله واحد مستحق للانفراد بالألوهية والخلق والتدبير.

ثم في أثناء السورة وبعد اقتران النزولين جاء الخبر الصادق ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٢٧ –٢٨] وهو تنويه بأمثال القرآن وعربيته وأنه ليس بمعوج ولا زائغ بل مستقيم قويم.

ثم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وإعادة للتنويه والتعظيم بهذا المنزل الحق.

وعليه فورد ذكر **القرآن** ست مرات غير موطن الاقتران.

ثلاث مرات بوسم (الكتاب) ومرتين بوسم (القرآن)، و(آيات ربكم)، وخامسها غير ما تم إيراده ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم ﴾ [الزمر:٥٥] ، ووصف بالحسن هنا وفي قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾، وعليه فموضوع الكتاب العزيز وصفاً وصفات وإعلاماً بما فيه من الهدى والحق والنور مقصد عظيم من مقاصد سورة الزمر، ويلحظ هنا تقدم إنزال غيث السماء على نزول القرآن في موضع الاقتران وإن استهلت السورة بخبر النزول وتنزيل القرآن.

المطلب التاسع: آيتا فصلت

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

أشبهت آيتا فصلت هذه بسابقتها من سورة الزمر، فالاقتران متصل غير منفصل بين النزولين، وتقدم إنزال الماء من السماء على إنزال غيث القرآن، والسورتان مكيتان قد ابتدأتا بذكر تنزيل القرآن فصح تشابههما في هذه الوجوه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

المناسبة /واعلم أنه تعالى لما ذكر الآيات الأربع الفلكية: الشمس، والقمر، والليل، والنهار أتبعها بذكر آية أرضية.

يعني أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها[١].

وهو معنى قول أبي حيان في بيان المناسبة[٢].

وقيل في وجه الربط بين الآية بما قبلها:

ولما ذكر بعض آيات السماء لشرفها، ولأن بعضها عُبِد، ومن آثار الإلهية فذكر دلالتها على وحدانيته اللازم منه إبطال عبادتها أتبعه بعض آيات الأرض ، بخلاف ما في يس فإن السياق هناك للبعث، وآيات الأرض أدل[٣].

---

(١) التفسير الكبير ١٣١/٢٧.

(٢) البحر المحيط ٤٧٧/٧.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٩٦/١٧.

وقيل: ثم ذكر تعالى آية منصوبة ليعتبر بها في أمر البعث من القبور ويستدل بما شوهد من هذه الآية على ما لم يشاهد بعد من تلك، وهي آية يراها عياناً كل مفطور على عقل[1].

والآية استدلال بهذا الصنع العظيم على أنه تعالى منفرد بفعله فهو دليل على إلهيته دون غيره؛ لأن من يفعل ما لا يفعله غيره هو الإله الحق، وإذا كان كذلك لم يجز أن يتعدد لكون من لا يفعل مثل فعله ناقص القدرة، والنقص ينافي الإلهية[2].

النكات واللطائف

(١)- ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

هذا هو الدليل الأصلي وتقريره أن عودة التأليف والتركيب إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته، وعودة الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد اجتماعها أيضاً أمر ممكن لذاته، والله تعالى قادر على الممكنات[3].

(٢) – ﴿خَٰشِعَةً﴾ الخشوع التذلل... وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول باعتبار ما يتخيله الناس من مشابهة اختلاف حالي الفحولة والخصب بحالي التذلل والازدهار، ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه بحال شخص كان كاسف البال رث اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واختال في مشيه زهواً[4].

(٣)- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أدخل (من) التبعيضية؛ لأن له آية أخرى، وهذا بعض منها[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٧/ ٤٨٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٣١.

(٤)الكشاف ٥/ ٣٨٤، التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٢، وأوله عند البيضاوي كذلك ٣/ ٢٢٨، وأبو السعود في تفسيره ٥/ ٤٨، حاشية القونوي على البيضاوي ١٧/ ١٦٨، روح المعاني ٢٤/ ١٢٦.

(٥) حاشية القونوي ١٧/ ١٦٨.

(٤) - ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ لأن النبات إذا دنى أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات، وهذا معنى ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ فظهر وجه تقديم اهتزت، وهذا بناء على الأغلب، وإلا فقد تكون اهتزت بماء الأنهار والآبار[١].

وفصل الخفاجي والقونوي في احتمال هذا التشبيه في الآية[٢].

(٥) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾.

إدماج لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق والتدبير، ووقوعه على عادة القرآن في التفنن وانتهاز فرص الهدى إلى الحق[٣].

الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [فصلت: ٤١].

المناسبة / هذه الآية متصلة بما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

قال الزمخشري: فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾؟، قلت: هو بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾[٤].

وقال الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين أن الدعوة إلى دين الله تعالى أعظم المناصب وأشرف المراتب، ثم بين أن الدعوة إلى دين الله إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد وصحة البعث والقيامة عاد إلى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويحاول إلقاء الشبهات فيها،

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٨ ، و في الكشاف بنحوه ٥/ ٣٨٥، حاشية القونوي ١٧/ ١٦٩.

(٢) حاشية القونوي ١٧/ ١٦٩، حاشية الخفاجي ٧/ ٤٠١.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٣.

(٤) الكشاف ٥/ ٣٨٥.

فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾... فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ ﴾ وهذا أيضاً تهديد[1].

ومثله عند أبي حيان[2].

فالآيتان كلاهما مهدِّدَتان من نازع في التوحيد والبعث فهما في ذات السياق، ولأجل هذا قدَّمنا أن اقتران النزولين في هذا الموطن متصلان لم يفصل بينهما بفاصل كما قد يتوهم، والله أعلم.

النكات واللطائف:

(١) – اختلفوا في خبر قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ ﴾ ، فقيل: محذوف كسائر الأجوبة المحذوفة في القرآن، تقديره: يجازون بكفرهم أو ما أشبه ذلك، أو معاندون ، أو هالكون ، أو سفهوا أنفسهم أو خسروا الآخرة، أو هلكوا، أو ضلوا كلها تقديرات مذكورة.

وقيل: الجواب قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ ﴾ واعترض عليه بكثرة الحائل.

وقول ثالث : إن الجواب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ ﴾ وضُعف[3].

ومال بعضهم إلى أنه محذوف لكن تقديره بعد قوله تعالى: ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ ؛ وذلك لأن قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ ﴾ داخل في صفة الذكر المكذَّب به فلم يتم ذكر المخبر عنه إلا بعد استيفاء وصفه ، وهو أشد إظهاراً لمذمة الكفار به[4].

---

(١) التفسير الكبير ١٣٢/٢٧.

(٢) البحر المحيط ٤٧٨/٧.

(٣)معاني القرآن للفراء ١٩/٣، تأويل مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢٧٣/٢، البسيط للواحدي ٤٦٦/١٩، التفسير الكبير ١٣٢/٢٧، أنوار التنزيل ٢٢٨/٣، البحر المحيط ٤٧٩/٧ ، إرشاد العقل السليم ٤٨/٥، روح المعاني ١٢٨/٢٤، حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي ٤٠٢/٧ ، التحرير والتنوير ٣٠٧/٢٤ .

(٤) هذا ملخص كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٨٩/٧ .

(٢) – قال الزمخشري: فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون؟

قلت: بلى، ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوماً عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم.

فلم يخلو طعن طاعن إلا ممحوقاً، ولا قول مبطل إلا مضمحلاً[١].

قال ابن عطية: ووصف تعالى الكتاب بالعزة؛ لأنه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه، والإزراء عليه، وهو محفوظ من الله تعالى[٢].

(٣) – ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

يذكر أظهر الجهات وأكثرها في الاعتبار وهو جهتا القدام والخلف، ويراد الجهات بأسرها، فيكون قوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ استعارة تمثيلية، شبه الكتاب في عدم تطرق الباطل إليه بوجه من الوجوه، ممن هو محمي بحماية غالب قاهر يمنع جاره من أن يتعرض له العدو من جهة من جهاته، ثم أخرجه مخرج الاستعارة[٣].

ولما كان المراد تعميم النفي لا نفي العموم أدخل الجار، فقال: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أي من جهة الظاهر مثل أمرٍ أخبر به عما كان قبله. ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ من جهة العلم الباطن مثل علمٍ ما لم يشتهر من الكائن والآتي سواء كان حكماً أو خبراً؛ لأنه في غاية الحقية والصدق، والحاصل أنه لا يأتيه من جهة من الجهات؛ لأن ما قدم أوضح ما يكون، وما خلف أخفى ما يكون فما بين ذلك من باب الأولى[٤].

---

(١) الكشاف ٣٨٥/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣٨٩/٧.

(٣) حاشية شيخ زاده على البيضاوي ١٦٨/٤، حاشية الخفاجي على البيضاوي ٤٠٢/٧.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٢٠١/١٧.

وبعضهم جعل المراد بقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أي : مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية[1]، وقيل: المقصود استيعاب الجهات؛ تمثيلاً لحال انتفاء الباطل عنه في ظاهره وفي تأويله[2].

وأورد الرازي في المراد خمسة وجوه، أردفها باحتجاج أبي مسلم الأصبهاني بعدم وجود النسخ احتجاجاً بهذه الآية[3].

(٤) - ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ قيل: أي حكيم أي تنوينه للتعظيم[4].

وقيل : هذا مفيد لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية[5].

ويقصد بالسابقتين وصفه بأنه عزيز ، وأنه لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.

وفي تلكم الآيتين أوصاف للقرآن وخصال عدَّدها باسطاً منزع ورودها من الآيتين ابن عاشور، فأوصلها سبع صفات[6].

والصفات مذكورة عند الآلوسي لكن بعدد قليل ليس كما عند المفسر ابن عاشور[7].

قلت: وهذه السورة مملوءة بعظيم أوصاف القرآن وجليل خصاله بما لعله لا يوجد في سورة أخرى.

فمن أسمائه في فصلت: القرآن ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

---

(١) أنوار التنزيل ٣/ ٢٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٣٢، ١٣٣.

(٤) أنوار التنزيل ٣/ ٢٢٧، حاشية الخفاجي ٧/ ٤٠٢.

(٥) إرشاد العقل السليم ٥/ ٤٩.

(٦) التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٠٧.

(٧) روح المعاني ٢٤/ ١٢٧.

الكتاب وهو اسم وصف ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ و﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾.

الذكر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾.

وجاء حديث السورة عند القرآن في مفتتحها وفي وسطها وفي خواتمها.

أما وصوف القرآن فهي كما يلي:

أ – أنه منزل ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

ب – فصلت آياته ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣].

ج – أنه قرآن عربي ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣].

د – ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٤].

هـ – أضافه الله إلى نفسه ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

و – أنه كتاب عزيز.

ز – محفوظ لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات.

ح – كرر الإخبار أنه تنزيل من حكيم حميد.

ط – أنه هدى.

ي – أنه شفاء، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤].

ك – أنه عمىً على من لم يؤمن به ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

ل – أنه الحق ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبهذا صح أن تسمى سورة فصلت، ففي هذا إيحاءان:

أولهما – أن الكتاب مفصلة آياته موضحة مبنية لا لبس فيها ولا اشتباه.

ثانيهما – أنه فصلت أوصافه وخصاله ومزاياه في هذه السورة تفصيلاً عظيماً بما ليس في غيره ، فصدقت تسمية السورة ب فصلت وانطبقت انطباقاً تاماً.

فهو مفصل المعاني والأحكام والهدايات، مفصل الأوصاف مطنب الخصال وافي النعوت، والله أعلم.

المطلب العاشر : آيتا الشورى

١ – ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

٢ – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].

الآية الأولى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

المناسبة / لما أنهى الله القول على الذين يحاجون في توحيد الله، ويرومون إخفاء نوره صدع في هذه الآية بصفته تعالى من إنزال الكتاب الهادي للناس(١).

النكات واللطائف:

(١) – أتبع الخبر بإنزال الكتاب والميزان بحديث عن الساعة وقربها والتخويف منها، ولهذا الاقتران يقول جمع من أهل التفسير: كأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم(٢).

(٢)– ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾.

بدأ بالاسم الأعظم تنبيهاً على عظمة المخبر عنه(٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٧/٥٠٨، مدارك التنزيل للنسفي ٣/٢٥٠.

(٢) البحر المحيط ٧/٤٩١، أنوار التنزيل ٣/٢٣٥، إرشاد العقل السليم ٥/٦٣، روح المعاني ٢٥/٢٦.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٧/٢٨٠.

(٣) – ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

قال: قريب مذكراً ولم يؤنث ؛ مراعاة للفظة (الساعة).

وقيل في سر ذلك ؛ لأنه بمعنى ذات قرب ، أو لأن الساعة بمعنى البعث[١].

أو لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، فهي بمعنى الوقت ذكَّرها فقال (قريب) فأفهم أنها ذات شدائد ، وأن شدائدها ذكور الشدائد وأن قربها أسرع من لمع البرق[٢].

وقيل: ذكر (قريب) والساعة مؤنثة على طريق النسب، وقيل ذكر ؛ ليفرق بينه إذا كان من المسافة والزمان، وبينه إذا كان من النسب والقرابة[٣].

الآية الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٤٢].

هذا تعديد نعم الله تعالى الدالة على وحدانيته وأنه الإله الذي يستحق أن يعبد دون ما سواه من الأنداد[٤].

النكات واللطائف:

(١) – سمى المطر النازل غيثاً فهو النافع، ولا يقال لغير النافع غيث، والقراءة بالتشديد في (نزّل) دالة على كثرة نزول المطر فهو أبلغ ، ولإفادة تكرر التنزيل وتجدده[٥].

وقد لحظ معنى الإغاثة في لفظ الغيث كون المقام مقام امتنان[٦].

---

(١) البسيط للواحدي ٥٠٤/١٩، ٥٠٥. الكشاف ٤٠٢/٥، المحرر الوجيز ٥٠٩/٧. أنوار التنزيل ٢٣٥/٣، مدارك التنزيل ٢٥٠/٣، حاشية الشهاب الخفاجي ٤١٦/٧، روح المعاني ٢٥، ٢٦.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٢٨٢/١٧.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب ١٠/ ٦٥٧٧– ٦٥٧٨ .

(٤) المحرر الوجيز ٥١٧/٧.

(٥) حجة القراءات لابن زنجلة ٦٤١، ٦٤٢، حاشية القونوي ٢٣٩/١٧، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٨٥، التحرير والتنوير ٩٥/٢٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٧٦/١٨.

(٦) حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي ٢٣٩/١٧.

(٢) – ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ لما كان الإنزال لا يستغرق زمان القنوط أدخل الجار فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ أي: يئسوا من إنزاله وعلموا أنه لا يقدر على إنزاله غيره ولا يقصد فيه سواه[١].

(٣)– قال أهل المعاني: وإنزاله بعد القنوط أدعى إلى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بموقع إحسانه، وكذلك الشدائد التي تمر بالإنسان ويأتي الله بالفرج بعدها.

هذا نص كلام الواحدي[٢]، وعليه جماعات المفسرين[٣]، وأثر عن عمر رضي الله عنه أن رجلاقال له: قحط المطر وقحط الناس، فقال عمر: مُطرتم إذن، ثم قرأ ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾.[٤]

(٤) – ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ صيغة القصر تفيد قصر القلب؛ لأن في السامعين مشركين يظنون نزول الغيث من تصرف الكواكب، وقبلهم المسلمون الغافلون نُزلوا منزلة من يظن نزول الغيث منوطاً بالأسباب المعتادة لنزول الغيث.

فهذا القصر بالنسبة للمشركين قصر قلب أصلي، وبالنسبة للمسلمين قصر قلب تنزيلي[٥].

(٥) – ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

ختم الآية بالاسمين لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يحمد عليه[٦].

---

(١) نظم الدرر ١٧/ ٣١٠ .

(٢) البسيط ٥١٨/١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥١٧/٦ ، التفسير الكبير ١٧٢/٢٧، روح المعاني ٢٥، ٣٩.

(٤) الدر المنثور ١٣/ ١٦١.

(٥) التحرير والتنوير ٩٥/٢٥.

(٦) التحرير والتنوير ٩٦/٢٥.

قلتُ: اقترن إنزال الكتاب بالميزان الذي هو العدل والقسط، وأخبر تعالى أنه ينزل الغيث بقدر ما يشاء لا يطغى ولا ينقص، فهو إنزال بميزان كذلك بقدر موزون عادل، فالعدل سمة الإنزال فتعقب النزولان بأمر العدل والقسط والإنزال بقدر، وهذه دقيقة ملحوظة، والله أعلم.

وفي هذه السورة افتتح الله بذكر الوحي بعد الحروف الخمسة المقطعة ووصف القرآن بأنه وحي، وأنه قرآن عربي، وأنه روح من أمر الله، ومن الملفت أنه أخبر عن الوحي بالقرآن في أول السورة ﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣] وفي آخرها بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وفي هذا الموطن من السورة فهو وحي من الموحي سبحانه وليس من عند النبي صلى الله عليه وسلم ولا من تلقاء نفسه، تقدم اقتران إنزال الكتاب على إنزال الغيث، وفي ما بينهما قضايا الجدل مع المشركين في تشريع الشركاء من دون الله، وفي التخويف بالآخرة وأنه يوم الفصل، ومماراة الكفار فيها وشفقة أهل الإيمان منها، ومجازاة المؤمنين بالجنة والرضوان، ومهَّد للحديث عن بسط الرزق وإنزال الغيث بجملة من ما تفرد المولى به واختص من قبول التوبة والاستجابة للمؤمنين وتبشرهم وزيادتهم من فضله، وغير ذلك، والله أعلم.

المطلب الحادي عشر: آيتا الواقعة

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩].

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٨ – ٨٠].

الآية الأولى: قوله عز وتقدس: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾.

المناسبة / اتصلت هذه الآية بمنظومة دلائل ساقها القرآن ؛ ليدحض حجج منكري البعث والألوهية ويقيم البراهين على قدرته تعالى على إحياء الموات ولفت الأبصار إلى ثلاث نعم هن نعم في ثناياهن أدلة وبينات، وهن : المطعوم من النبات ، والمشروب من الماء ، والموقود من النار ذات المنافع والذكرى.

قال البقاعي: ولما وقفهم على قدرته في الزرع مع وجود أسبابه، وقدمهم بشدة إليه ، وكان ربما ألبس نوع لبس ؛ لأن لهم فيه سبباً في الجملة أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف في سببه الذي هو الماء الذي لا سبب لهم في شيء من أمره أصلاً، فقال مسبباً عما أفادهم هذا التنبيه مذكراً بنعمة الشرب الذي يحوج إليه الغذاء ﴿ **أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ** ﴾[1].

قلتُ: كأن في هذا الصنيع انتقالاً في الاستدلال من دليل إلى دليل، إذ لربما تمخضت عقولهم أسيرة الهوى بأن لهم نوع سبب في إيجاد المطعوم وإنتاجه فانتقل إلى دليل إنزال الماء والتذكير بنعمته، ولا سبب لهم في إنزاله واستحضاره بوجه من وجوه السببية.

وقال ابن عاشور: ومناسبة الانتقال أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء، فانتقل من الاستدلال بتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر[2].

وجعله الرازي في باب المطعوم من باب التدرج في الإثبات؛ لأنه لا يبعد أن يقول معاند: نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعاً لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا... فقال ﴿ **لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ**

(١) نظم الدرر ١٩/٢٢٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٣٢٣.

﴿حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٥-٦٦-٦٧]

وتقريره أنه لا يشك أحد أن الله هو الذي دفع الآفات عن الزرع[١].

قلتُ: ففي آية الزرع المطعوم تدرج في الاستدلال والاحجاج ثم انتقال إلى دليل الماء المشروب بما لا يؤثر فيه شغب معاند ولا معارضة منكر.

النكات واللطائف:

(١) – ثنى بالمشروب بعد المطعوم ثم ختم بالنار الموقدة، وفي هذا يقول أبو جعفر الغرناطي: أن ذكر المتنعم بالنعم متقدم في الرتبة على ما ذكر من النعم؛ لأن النعم إنما خلقت للمتنعم بها ومن أجله فذكره أولاً بين اللزوم، وأما تقديم الأكل على الشرب فمعقول الرتبة، فالشرب غالباً للاستمراء وليس أولياً في الغذاء ولا معتمداً في الجسوم الحيوانية للنماء فذكر مع الأكل تالياً لكونه في الرتبة ثانياً، وأما النار فللمنافع من الإنضاج والإسخان والإضاءة فهي متممة، وليست كالأكل والشرب مدعمة[٢].

وبمثله عند الخطيب الإسكافي[٣].

(٢) – ﴿ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ﴾ خص الماء الذي يشرب مع تعدد منافع الماء وكثرها؛ لأن الشرب أهم المقاصد وأعم المنافع[٤].

وكونه يشرب يعني أنه عذب فرات، وذاك في مقابل قوله: ﴿أُجَاجٗا﴾[٥].

وقيل: خص المشروب؛ لأنه ألطف وأنظف أو تذكيراً لهم بالإنعام عليهم[٦].

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/١٨٢.

(٢) ملاك التأويل ٢/١٠٦٧، ١٠٦٨.

(٣) درة التنزيل ٣/١٢٤٨.

(٤) البحر المحيط ٨/٢١١، نظم الدرر ١٩/٢٢٦، إرشاد العقل السليم ٥/٢٦٥، حاشية القونوي على البيضاوي ١٨/٤١٥، التحرير والتنوير ٢٧/٣٢٣.

(٥) البحر المحيط ٨/٢١١.

(٦) التفسير الكبير ٢٩/١٨٤.

والمزن: السحاب الأبيض وماؤه أعذب(1).

قلت: لم ترد كلمة المزن إلا في هذا الموضع. فإذا تأملت أنه في سياق الامتنان بالماء المشروب، كان هذا امتناناً بأعذب المياه وألطفها وأهنأها، والكريم سبحانه يمتن بعظيم خلقه وكريم مننه عز وتقدس.

(٣) – اختير الماضي في ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ﴾ مع أنه عبر في الأولين بالمضارع للتفنن، ففي الماضي تغليب وفي المضارع للاستمرار(2)، وفي الآية احتباك، إذ أعقب وصف الماء بـ ﴿الَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ بقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾.

كأنه قيل: أأنتم خلقتموه عذباً صالحاً للشرب وأنزلتموه من المزن ؟، لو نشاء جعلناه أجاجاً ولأسكناه في سحاباته أو أنزلناه على البحار أو الخلاء فلم تنتفعوا به.

هذا ما أفاد به ابن عاشور، ومثله عند البقاعي(3).

(٤) – أدخل اللام على جواب لو في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ ونزعها من قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾.

وللمفسرين نقاش عريض في سر هذا الحذف والإثبات بسطه الزمخشري، والرازي، وجماعات (4).

ونخبة ما استنبطوه:

أ – أن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قِبَل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم.

---

(1) الكشاف ٦/ ٣٤، أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/٣٦٦، نظم الدرر ٢٢٧/١٩، إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٦٥.

(2) حاشية القونوي على البيضاوي ٤١٥/١٨.

(3) نظم الدرر ٢٢٠/١٩، ٢٢٣، ٢٢٧، التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٧.

(4) الكشاف ٦/ ٣٤ – ٣٥، التفسير الكبير ١٨٢/٢٩، ١٨٤.

ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعدما تطعمه.

ب – أنه ذكر اللام في آية المطعم فلما ذكر آية المشروب كان قريب الذكر فاستغنى بذكر اللام فيه عن ذكرها ثانياً.

ج – حذفت اللام من آية المشروب ؛ لأنها لام زائدة للتوكيد فكان حذفها إيجازاً في الكلام[1].

د – عقب آيتا المطعوم والمشروب بذكر ما يعصم به الله تعالى الزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما ، وتلك نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر[2]، قاله أبو السعود ، وهو كلام بديع.

وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع يكون عن سخط شديد فلذا قرن بكلام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره[3].

(٥) – قال تعالى في ختام آية المطعوم ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وفي آية المشروب: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

قال الرازي: لم يقل عند ذكر الطعام الشكر ، وذلك لوجهين:

أحدهما: أنه لم يذكر في المأكول أكلهم فلما لم يقل (تأكلون) لم يقل (تشكرون)، وقال في الماء ﴿تَشْرَبُونَ﴾ فقال: ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

والثاني: أن في المأكول قال: • ﴿تَحْرُثُونَ﴾ فأثبت لهم سعياً فلم يقل (تشكرون)، وقال في الماء ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ لا عمل لكم فيه أصلاً وهو محض النعمة فقال: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) التفسير الكبير ١٨٢/٢٩، ١٨٣، أنوار التنزيل ٣٦٧/٣ ، البحر المحيط ٢١١ – ٢١٢، الدر المصون ٢١٧/١٠، ٢١٨، حاشية الخفاجي ٨ / ١٤٧، التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٧.

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٦٥/٥، ٢٦٦.

(٣) روح المعاني ١٤٩/٢٧، ولينظر : المثل السائر لابن الأثير ٢٣٥/٢.

وفيه وجه ثالث: وهو الأحسن أن يقال النعمة لا تتم إلا عند الأكل والشرب ألا ترى أن في البراري التي لا يوجد فيها الماء لا يأكل الإنسان شيئاً مخافة العطش، فلما ذكر المأكول أولاً وأتمه بذكر المشروب قال: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ على هذه النعمة التامة[١].

قلت: وهذه المعاني اللطاف من حسان ما جمل به الرازي تفسيره وأكثر منها، ولولا ما شان به كتابه من علم الكلام ومخالفة منهج السلف في المعتقد لكان له شأن آخر.

وقيل: إن الشكر راجع على جميع الآلاء المتقدمة لا تختص بالمشروب فحسب.

قال أبو السعود: تخصيص على شكر الكل[٢].

وعبارة البيضاوي: أمثال هذه النعم الضرورية[٣]، فأشار إلى عود الشكر على ما تقدم أجمع.

قلت: وعلى هذا الاتجاه الأخير تفوت اللطائف المقترحة التي أبدع ذكرها الرازي، ولا مرية أن الشكر مفهوم من سياق الآيات وصرف أنظارهم إليها خاصة مع افتتاح الآيات بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ فرؤيتها بعين البصر ثم إدراكها بالبصيرة موجب للشكر والحمد.

الآية الثانية: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

المناسبة / بعد ذكر جملة من النعم الدنيوية انتقل السياق إلى ذكر نعمة دينية أخروية وهي القرآن الكريم، فجمع بين نعيم الدار الأولى ونعمة الدار الاخرة المشتملة على كل البركات والخيور ممهداً بقَسَم عظيم على أنه كتاب كريم موصوف بصفات رفيعة وسمات علية.

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/١٨٥.

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/٢٦٦.

(٣) أنوار التنزيل ٣/٣٦٧.

قال البقاعي: ولما كان الكلام السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجمعاً للنعم الدنيوية الظاهرة وقد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره وقانون أحكمه وجعل إنزال القرآن نجوماً مفرقة وبوارق متألقة فقال: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة النافعة المحببة للقلوب(١).

أما ابن عاشور فجعل المقطع تفريعاً على جملة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾ [الواقعة ٤٩-٥٠] يُعرب عن خطاب من الله تعالى موجه إلى المكذبين بالبعث القائلين ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة :٤٧] انتقل به إلى التنويه بالقرآن ؛لأنهم لما كذبوا بالبعث وكان إثبات البعث من أهم ما جاء به القرآن وكان مما أغراهم بتكذيب القرآن اشتماله على إثبات البعث الذي عدوه محالاً ، ففرع على تحقيق وقوع البعث والإنذار به تحقيق أن القرآن منزه عن النقائص ، وأنه تنزيل من الله ، وأن الذي جاء به مبلغ عن الله(٢).

قلت: فيكون ما بين الإخبار عنهم بتكذيب البعث وإنكار يوم المعاد، وهذا التفصيل لصفات القرآن وصدقه مجموعة دلائل وبراهين على قدرة الله ووحدانيته.

ولأهل التفسير قولان في ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فمنهم من يجعل المراد النجوم السماوية حقيقة ومواضعها مساقطها، وهو قول الأكثرين.

ومنهم من جعل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها ، ولهم في سياق الآية بعدها من الحديث عن القرآن وصفاته مستند لقولهم(٣).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٣٥/١٩، وهذا قول من يجعل الآية إخباراً عن تنزلات القرآن نجوماً، وليس على ظاهرها.

(٢) التحرير والتنوير ٣٢٩/٢٧.

(٣) ، معالم التنزيل ٢٢/٨، ٢٣، المحرر الوجيز ٢٠٩/٨، ٢١٠ ، زاد المسير ١٥١/٨، أنوار التنزيل للبيضاوي ٣٦٧/٣ ،تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣٨٩/١٣، ٣٩٠ .

النكات واللطائف:

(١)- ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ على رأي من يفسرها بنجوم القرآن فهناك صلة وتناسب بين نجوم القرآن أي: نزوله مفرقاً منجماً حسب الوقائع والأحداث وبين أنواء السماء التي تنزل منها الغيوث على حسب الحاجة ووفق تقدير العزيز العليم، ففي النزولين حياة للأوراح وحياة للأشباح.

وعلى أن النجوم نجوم السماء فالقسم بمنازلها ومجاريها ؛ لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة ما لا يحيط به الوصف[١].

وقال النسفي: ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة.

أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم ،فلذلك أقسم بمواقعها[٢].

قلت: قوله: (ونزول الرحمة) تأويل ، والحق أ ن يقال: ونزول الله تعالى نزولاً حقيقياً يليق بجلاله كما صح به الخبر وثبتت به السنة.

وجعل البيضاوي تخصيص مساقط النجوم ؛ لما في غروبها من زوال أثرها، والدلالة على وجود مؤثر، وهذا بناء على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب كما استدل به إبراهيم عليه السلام للأفول أي الغروب[٣].

(٢) – وصف القرآن بصفات عظيمة في هذا الموطن.

---

(١) حاشية الخفاجي ٨/١٤٩، روح المعاني ١٥٢/٢٧.

(٢) مدارك التنزيل ٤٢٩/٣، إرشاد العقل السليم ٥/٢٦٧، ومثله عند الألوسي في روح المعاني ١٥٢/٢٧.

(٣) أنوار التنزيل ٣٦٧/٣، حاية القونوي ٤٢١/١٨ ، وقوله (وجود مؤثر) ألفاظ أهل الكلام ، وأحق من هذه اللفظة (وجود خالق).

أولها: أنه كريم، وثانيها: أنه مصون في كتاب مكنون، ثالثها: أنه لا يمسه إلا المطهرون، رابعها: تنزيل من رب العالمين.

وللرازي معنى حسن في المراد بكريم إذ يقول: قوله: (كريم) فيه لطيفة ، وهي أن الكلام إذا قرئ كثيراً يهون في الأعين والآذان، ولهذا ترى من قال شيئاً في مجلس الملوك لا يذكره ثانياً، ولو قيل فيه يقال لقائله: تكرر هذا.

ثم إنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ﴾ أي : مقروء قرئ ويقرأ قال: (كريم) أي :لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى آية الدهر كالكلام الغض والحديث الطري[1].

(٣) – ﴿مَّكۡنُونٖ﴾.

ذلك وصف كرامة لا محالة كما يقول ابن عاشور[2] ، والمكنون المصون، ونقل ابن عطية الاتفاق على هذا عند المتأولين[3] ، وكيف يوصف القرآن بالمكنون على أنه المراد كما هو أحد القولين في الآية ؟ ، يقول الرازي: وأما القرآن فهو مكتوب مستور أبد الدهر عن أعين المدلسين مصون عن أيدي المحرفين... وأما فائدة كونه في ﴿كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ فيكون رداً على من قال : إنه أساطير الأولين في كتب ظاهرة أي: فلم لا يطالعها الكفار، ولم لا يطلعون عليه؟ ، لا ، بل هو﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[4].

(٤)– ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ هذه صفة للقرآن على أحد القولين في الآية، وهي نفي بمعنى النهي ، أو خبر بمعنى الأمر: أي لا تمسوا القرآن إلا مطهرين.

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/١٩٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٣٣٣.

(٣) المحرر الوجيز ٨/٢١٠.

(٤) التفسير الكبير ٢٩/١٩٤.

وهذا آكد من النهي الصريح[١]، ويؤكد أن الصفة للقرآن لا للوح المحفوظ أن الكلام مسوق لتعظيم القرآن[٢]. وهو قول أكثر الفقهاء كما نص عليه البغوي[٣].

(٥) - ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لما ذكر الذي فيه صيانته أتبعه شرفه بشرف منزله وإنزاله على حال هو في غاية العظمة ، مسمياً له باسم المصدر للمبالغة، ولأن هذا المصدر أغلب أحواله ، ولذلك غلب عليه هذا الاسم ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ أي : وصوله إليكم بالتدريج بحسب الوقائع والتقريب للأفهام والتأني والترقية من حال إلى حال ومن حكم إلى حكم[٤].

وفي معنى إضافة التنزيل إلى وصف الربوبية إشعار بما حمله هذا الكتاب من مصالح العباد ومنافعهم وما به هداهم وفوزهم في الدارين، ولحظ هذا المعنى البقاعي[٥].

وقال الرازي: وقوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أيضاً لتعظيم القرآن؛ لأن الكلام يعظم بعظمة المتكلم[٦].

قلتُ: بعد هذا الفيض من سمات القرآن وتقرير عظمته ونفاسته أنكر القرآن على المكذبين كيف يقع منهم أدنى ريب فيه وتشكيك وتكذيب والبراهين لائحة على صدقه وصدق من بلغه وصدق من تكلم به؟.

---

(١) الكشاف ٦/ ٣٨، المحرر الوجيز ٨/ ٢١٠ - ٢١١، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٢٢، ٢٢٣، أنوار التنزيل ٣/ ٣٦٨، إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٦٧ ، حاشية القونوي على البيضاوي ١٨/ ٤٢٤ .

(٢) حاشية الخفاجي على البيضاوي ٨/ ١٤٩.

(٣) معالم التنزيل ٨/ ٢٣.

(٤) نظم الدرر ١٩/ ٢٣٩.

(٥) نظم الدرر ١٩/ ٢٣٩.

(٦) التفسير الكبير ٢٩/ ١٩٧.

قال ابن عاشور: وأطبق المفسرون -عدا الفخر- على أن اسم الإشارة وبيانه بقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ مشيراً إلى القرآن ؛ لمناسبة الانتقال من التنويه بشأنه إلى الإنكار على المكذبين به[1].

والإشارة بهذا الحديث للتنبيه على أن الموصوف بهذه الآصاف الحميدة يجب أن يعظم بأنواع التعظيم، ومع ذلك أنتم أيها الكفرة الفجرة متهاونون فيه غاية التهاون[2].

ومن دقيق الاقتران أنه بعد إنكاره تكذيبهم القرآن مع وضوح صدقه وسطوح حقه أنكر عليهم قولهم في المطر الذي نزله الله رزقاً للعباد: هذا بنوء كذا وكذا، فكما وبخهم على تكذيبهم بالوحي المنزل وبخهم على تكذيبهم بالرزق المنساب من السماء إذ نسبوه إلى غير رازقه تعالى ،كأنه يقول: حق نزول القرآن كما هو نزول الغيث الإيمان بهما والتصديق الموقن في أن الأول متكلم به الله منزله على رسوله الصادق المحق، ، والثاني هو رازقه ومنزله ، لا دخل للأنواء ولا سبب لها في حصوله والغياث به، والله أعلم.

* * *

(1) التحرير والتنوير ٢٩/٣٣٧.

(2) حاشية القونوي ١٨/٤٢٥.

المبحث الثاني / اقتران نزول القرآن بنزول غيث السماء في السور المدنية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آيتا سورة البقرة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٢١].

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٢٣].

الآية الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

هاتان الآيتان من سورة البقرة هما أول ما اقترن من النزولين في العهد المدني؛ لأن البقرة أول ما نزل بالمدينة ثم سورة النساء، وفيها تقدم إنزال غيث السماء على نزول القرآن وهما مقترنان لم يفصل بينهما فاصل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

المناسبة / لما فصل من قبل الثلاثة أحوال المدعوين بهذا الكتاب شرع في تلقينه الدعوة العامة للناس، فافتتح الدعوة والنداء والدعوة إلى العبادة بهذه الآية، وتولى سبحانه دعوة الخلق دعوة عامة جامعة لكل دعوة في القرآن فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[1].

وقال في البحر: ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم وما يؤول إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء[2].

---

(١) قاله الحرالي كما عند البقاعي في نظم الدرر ١/١٣٨، ١٣٩.

(٢) نقلها عن المهدوي. انظر: البحر المحيط ١/٢٣٢.

وعند الزمخشري أنه لما عدد تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب[1].

وحام ابن عاشور حول هذا الوجه ولم يخرج عن قول السابقين، وحام قبله البيضاوي[2].

النكات واللطائف:

(١) – قدم تعالى من موجبات عبداته ملزمات حق الشكر له، خلقهم أحياء قادرين، والخلق سابقة أصول النعم ومقدمتها، ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم ولا بد لهم منها، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار، ثم ما سواه – عز وجل – من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم، هذا ملخص كلام الزمخشري[3].

(٢) – ﴿ثَمَرَٰتِ﴾ الثمر المخرج من ماء السماء كثير فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار؟

أ – الجموع يتعاور بعضها موقع بعضاً، كقوله: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ **[الدخان: ٢٥].**

ب – لأنها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة.

---

(١) الكشاف ٢١٥/١.

(٢) الكشاف ٢٠٩/١، ٢١٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣٢٣/١، ٣٢٤، أنوار التنزيل ٥٩/١.

ج – أنه يقصد بالثمرات جماعة الثمرة كقولهم: فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره.

هذا جواب الزمخشري من وجهين، وتبعه البيضاوي وزاد الوجه الثاني ،وبالوجهين الأول والثاني قال جماعة(١).

وقيل: تنبيهاً على قلة ثمار الدنيا وإشعاراً بتعظيم أمر الآخرة(٢).

وقال الآلوسي متعقباً كلام البيضاوي وغيره: وما ذكر عن البيضاوي وغيره... لا يخلو صفاؤه من كدر كما يسفر عنه كلام الشهاب(٣).

(٣) – قدم السماء على نزول المطر وإخراج الثمرات؛ لأن هذا كالأمر المتولد بين السماء والأرض، والأثر متأخر عن المؤثر، وبعبارة أخرى: قدم ذكر الأصول على الفروع(٤).

وما قيل من الأوجه في الثمرات لم يرتضه الخفاجي ، وبسط فيه بحثاً في موضع الآية(٥).

(٤) – ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ غلّب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً، وقيل تعليل للخلق أي: خلقكم لكي (تتقوا) وضعف هذا البيضاوي معللاً ذلك بأنه لم يثبت في اللغة مثله(٦).

﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ المراد بها إطلاقها العرفي عند العرب وهو: كرة الهواء المحيطة بالأرض.

---

(١) الكشف ٢١٦/١، أنوار التنزيل ٦٢/١، إرشاد العقل السليم ١٠٧/١، البحر المحيط ٢٣٩/١، الدر المصون ١٩٤/١.

(٢) التفسير الكبير ١٢٢/٢.

(٣) روح المعاني ١٨٩/١.

(٤) التفسير الكبير ١١١/٢ ، البحر المحيط ٢٣٩/١.

(٥) حاشية الشهاب الخفاجي ٢١/٢.

(٦) أنوار التنزيل ٦١/١.

وهذا هو المراد الغالب إذا أطلق السماء بالإفراد دون الجمع ، ويكفي في الامتنان بخلق السماء إشعار السامعين لهذه الآية بأن في خلق السماء على تلك الصفة ما في إقامة البناء من الفوائد على الإجمال ليفرضه السامعون على مقدار قرائحهم وأفهامهم[١].

قال بعض المفسرين: اختص تعالى بهذه المخلوقات وهي الخلقة البشرية والبنيتان الأرضية والسماوية؛ لأنها محل الاعتبار ومسرح الإبصار ومواطن المنافع الدنيوية والأخروية، وبها يقوم الدليل على وجود الصانع وقدرته وحكمته.

وقدم الخلقة البشرية... لما فيها من بدائع الصنعة ما لا يعبر عنه وصف لسان ولا يحيط بكنهه فكر جنان.

وظهور حسن الصنعة في الأشياء اللطيفة أعظم منه في الأجرام العظام. ا.هـ[٢]

ومما قيل في تقديم خلق الإنسان على خلق السموات والأرض؛ لأن اعتبار الإنسان بنفسه في تقلب أحواله أقرب إلى ذهنه، أو لأن العرب عادتها تقديم الأهم عندها والمعتنى به[٣].

وقيل: رتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحسن ترتيب، قدم الإنسان ؛ لأنه أعرف بنفسه، والنعمة عليه أدعى إلى الشكر، وثنى بمن قبله ؛ لأنه أعرف بنوعه، وثلَّث بالأرض ؛ لأنها مسكنه الذي لا بد منه، وربَّع بالسماء ؛ لأنها سقفه، وخمَّس بالماء ؛ لأنه الأثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣١/١ – ٣٣٢ .

(٢) نقله أبو حيان في البحر المحيط عن بعض المفسرين ٢٤١/١.

(٣) البحر المحيط ١/

(٤) نظم الدرر للبقاعي ١٤٦/١ – ١٤٧.

(٥) – قدم في الآية السماء على الأرض ، وفي نكتة ذلك يقول المفسرون:

أ – قدم السماء ؛ لأن السقف والبنيان فيما يعهد لا بد له من أساس وعمد مستقر على الأرض، فبدأ بذكرها إذ على متنها يوضع الأساس وتستقر القواعد، أو لأن الأرض خلقها متقدم على خلق السماء، أو لأن ذلك من باب الترقي بذكر الأدنى إلى ذكر الأعلى[١].

ب – وتقديم حال الأرض لما أن احتياجهم إليها وانتفاعهم بها أكثر وأظهر[٢].

ج– أو لأنه تعالى لما ذكر خلقهم ناسب أن يعقبه بذكر أول ما يحتاجونه بعده وهو المستقر أو ليحصل العروج من الأدنى إلى الأعلى[٣].

(٦)– ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾.

خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده، ولكن جعل الماء سبباً في خروجها... وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال، وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً وعبراً للنظار بعيون الاستبصار[٤].

(٧)– ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

نفى ابن عاشور أن تكون (من) للتبعيض ؛ لأن المقام مقام الامتنان والتبعيض لا يناسب المقام ، بل إما أنه تكون (من) لبيان الرزق المخرج، وإما زائدة لتأكيد تعلق الإخراج بالثمرات[٥].

---

(١) البحر المحيط ٢٤١/١.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٠٦/١.

(٣) روح المعاني ١٨٨/١.

(٤) مدارك التنزيل ٦٣/١.

(٥) التحرير والتنوير ٣٣٤/١.

ويخالفه الزمخشري وطائفة فيرون أنها للتبعيض ؛ لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات(١).

مع تجويزهم أن تكون للبيان، وإن قدموا ودللوا على أنها للتبعيض.

واستبعد السمين قول من جعلها زائدة ودلل على ذلك من وجهين(٢).

(٨)- في إنشاء النبات والخلق بالأسباب حكمة عظيمة(٣).

قال الآلوسي: لو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب، فالقرآن مملوء من إثبات الأسباب ما يفيد ذلك من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف حقيقة بلا مبالغة(٤).

(٩)- في الآية أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري وبطلان الشرك حيث ذكر توحيد الربوبية المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة(٥).

وقيل إن الآية كما تزيل الريب تزيل الإنكار، لكن خص هذا إشارة إلى أن غاية ما يتوهم الريب دون الإنكار فإنه بمعزل عن التوهم فلا تلتفت إلى إزاحته، ولذا لم يقل: **إن كنتم مرتابين** مبالغة فيه أي: إن كنتم مخاطبين بالريب يندفع عنكم بهذا الطريق(٦).

(١٠) - ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

كيف يُسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه؟

---

(١) الكشاف ٢١٦/١، أنوار التنزيل للبيضاوي ٦٢/١، الدر المصون ١٩٣/١.

(٢) الدر المصون ١٩٣/١.

(٣) الكشاف ٢١٥/١.

(٤) روح المعاني ١٩٣/١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص ٣٤.

(٦) هذا وجه منقول كما في حاشية الشهاب الخفاجي وبعد إيراده رده بقوله: وليس بشيء ثم أطنب في تعقبه ٣٠/٢.

الجواب: لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم، كما تهكم بهم بلفظ (الند) شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ندّ قط[1].

(١١) – ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ترك مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ آكد[2].

قال الطيبي: أي لا تجعلوا لله أنداداً، والحال أنكم من صحة التميز والمعرفة بمنزلة، يعني: جعلكم لله أنداداً مع هذا الصارف القوي مظنة تعجب وتعجيب[3].

(١٢) – في الآية جعل الماء سبباً في خروج الثمرات والنبات، ومادة لها كما العمل في خلق الولد، هو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال، وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبراً وأفكاراً صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ، وليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب[4].

قال البقاعي: وما أحسن الأمر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الأولين والآخرين، وما بعده عقب إثبات قدرة الداعي المشيرة إلى الترهيب من سطواته، ولقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب أحوال من قرر أنهم في غاية الجمود

---

(١) الكشاف ٢١٦/١، ٢١٧.

(٢) الكشاف ٢١٧/١.

(٣) فتوح الغيب ٣٩٣/١.

(٤) الكشاف ٢١٥/١ ونقله النسفي عنه في مدارك التنزيل ٦٣/١.

بأمور مشاهدة يصل إليها كل عاقل بأول وهلة ، من دحو الأرض وما بعده مما به قوام بقائهم من السكن والرزق في سياق منبه على النعمة محذر من سلبها، دال على الإله بعد الدلالة بالأنفس من حيث أن كل أحد يعرف ضرورة أنه وُجد بعد أن لم يكن... إلخ[١]

وفي آية الخلق والنعم وصف الرب بموصولين ذكر صلة الثاني بلفظ الجعل؛ لأن حال القوام مرتب على حال الخلق ومصيّر منه فلا يشك ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه وأقام تركيبه، ولا يشك ذو حس إذا تيقظ من نوم أو غفلة فوجد بساطاً قد فرش له وخيمة قد ضربت عليه وعولج له طعام وشراب قدم له أن نفسه تنبعث بذاتها لتعظيم من فعل ذلك بها[٢].

الآية الثانية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

المناسبة :

لما احتج على الوحدانية والبراهين القاطعة انتقل إلى الاحتجاج على صدق نبيه فيما ادعاه من النبوة وفيما جاء به من القرآن[٣].

وعند البيضاوي: لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت كل منطق وإفحامه[٤].

---

(١) نظم الدرر ١/١٤٤، ١٤٥.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/١٤٨، ١٤٩.

(٣) قطف الأزهار للسيوطي ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) أنوار التنزيل ١/٦٤ .

وقال أبو حيان: ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك وعرفهم أن من جعل لله شريكاً فهو بمعزل من العلم والتمييز، أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته، وهو كون القرآن معجزة[1].

وبمضمون السالف جاء عند الواحدي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والنسفي[2].

قال الآلوسي: والتوحيد والتصديق توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالآية إن سيقت لبيان الإعجاز، إلا أن الغرض منه إثبات النبوة[3].

وتعقب الخفاجي ما قيل من مناسبات رابطة بين الآية وسابقتها فقال: وقيل: إنه لما أوجب العبادة ونفى الشرك بإزالة الآيات، والانقياد لها لا يمكن بدون التصديق بأن تلك الآيات من عند الله أرشدهم إلى ما يوجب هذا العلم، وهذا أنسب بالسياق حيث لم يقل: وإن كنتم في ريب من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بل في ريب مما نزلنا... إلخ[4].

قلت: فالآية بما قبلها من دليل الوحدانية انتظم في سلكها ثلاث أمات من مقاصد العهد المكي من تقرير الوحدانية وإثبات الألوهية ونفي ما يضادها، والنبوة، والقرآن.

وبقيت قضية البعث ويوم القيامة، فلعل في ذكر النار بعدها علامة على إحدى ما يكون فيها، وقبلها صورة محسوسة أتت مراراً في عطاف السور استشهاداً على إثبات البعث والنشور ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ فالإحياء الذي يحدث بالماء ويخرج به النبات صورة للقدرة الفائقة، ودليل على بعث الأجساد من رقدتها

---

(١) البحر المحيط ١/٢٤٣ .

(٢) البسيط ٢/٢٣٧، ٢٣٨، الكشاف ١/٢١٨، التفسير الكبير ٢/١٢٥، ١٢٦، الجامع لأحكام القرآن ١/٣٤٩، مدارك التنزيل ١/٦٣، ٦٤.

(٣) روح المعاني ١/١٩٣.

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي ٢/٣٠.

والأموات من أجداثها، وهذا تذكير بقضايا الزمن المكي في أول سورة تنزل بالمدينة، فكأنها خلاصة خالصة لما دار في التنزلات المكية وتوكيد لعظم هذه المتقررات.

(١) – ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ لم يقل (وإن ارتبتم فيما نزلنا) إلخ ؛ لما أشير إليه من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه[١].

قال النحويون: (إن) دخلت هاهنا لغير شك ؛ لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون ولكن هذا عادة العرب في خطابهم [٢].

ولابن عاشور نكتة بليغة في ذلك [٣]، وقيل: إن وجود الريب وإن تحقق إلا أنه منزل منزلة العدم، لأنه لا يصدر عن عاقل تدبره، وما يصدر عن غيره لا عبرة به فكأنه غير موجود رأساً ، فنفيه عنه نفي لكونه محلاً له ومظنة لثبوته[٤].

وفي الآية التفات من الغائب إلى ضمير المتكلم، وإلا لقال سبحانه: على عبده، لكنه عدل سبحانه إلى ذلك ؛ تفخيماً للمنزل أو المنزل عليه، لاسيما وقد أتى بـ (نا) المشعرة بالتعظيم[٥].

(٢) – قال: ﴿عَبْدِنَا﴾ لما كانت العبادة أشرف الخصال والتسمي بها أشرف الخطط سمى نبيه عبداً[٦]، وبنحوه عند السعدي[٧].

وقال البيضاوي: تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه تعالى[٨].

---

(١) إرشاد العقل السليم ١/١١٠.

(٢) البسيط ٢/٢٣١، ٢٣٢.

(٣) التحرير والتنوير ١/ ٣٣٦.

(٤) هذا من تحشية الخفاجي شارحا كلام البيضاوي ١/١٨٧، ١٨٨.

(٥) روح المعاني ١/١٩٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٤٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥.

(٨) أنوار التنزيل ١/٦٤ – ٦٥ .

وقال البقاعي: أي الخالص لنا الذي لم يتعبد لغيرنا قط ، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء الفريقين وغيرهم[1].

وأتى بفعل نزَّل دون أنزل ، لأن القرآن نزل نجوماً[2].

(٣) – ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾.

صدر الريب بكلمة الشك (إن) وتنكيره (ريب) للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفاً مشكوك الوقوع، وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها[3].

قال الخفاجي: لم يعبر **بالإفعال** بل **بالتفعيل** المقيد للنزول ؛ لأنه من أسباب ريبهم، وكذا قوله: ﴿ عَبْدِنَا ﴾ ؛ لأنهم قالوا لما رأوا نزوله منجماً على عادة الشعراء والخطباء لو كان من عند الله جاء دفعة واحدة، فرد عليه بأنه نجم لأجل المصالح والوقائع ولأجل أن يسهل حفظه، وإضافة العبد إليه بصيغة العظمة ؛ تشريفاً وتعظيماً لقدره؛ لأن الإضافة تكون لتعظيم المضاف أو المضاف إليه أو غيره[4].

وقال السعدي في الآية : وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله وصحة ما جاء به[5].

(٤) – ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾.

ووجه الإتيان بـ (في) الدالة على الظرفية الإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف[6].

---

(١) نظم الدرر ١٦١/١.

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٦/١.

(٣) إرشاد العقل السليم ١١٠/١.

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٣١/٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤.

(٦) التحرير والتنوير ٣٣٦/١.

(٥) – ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

يعود الضمير في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ إلى القرآن عند جمهور العلماء[١].

والمسألة خلافية مبسوطة عند المفسرين.

قال الخفاجي: يحسن عود الضمير في ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ إلى المنزل؛ لأن الكلام فيه لا في المنزل عليه، فارتباط أول الكلام بأوله وترتب الجزاء على الشرط إنما يحسن كل الحسن إذا كان الضمير للمنزل فإنه الذي سيق له الكلام وفرض فيه الارتياب قصداً، وذكر القيد وقع تبعاً[٢].

وعند الرازي أن الضمير للقرآن وأن عليه أكثر المحققين، واستدل عليه بوجوه خمسة منها: أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي، لاسيما ما ذكره في سورة يونس، ثم إن البحث وقع في المنزل لأنه قال ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ فوجب صرف الضمير إليه، مع وجوه أخرى[٣].

(٦) – ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ حكمة الإتيان عن التبعيضية في هذه السورة أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحداً عثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها؛ ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني متلائمة المباني منتظم أولها بآخرها[٤].

هذا ما قرره البقاعي مطولاً شرح النكة في ذلك.

وعند الغرناطي أن المراد إراءتهم ما يرفع شكهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكأنه قد قيل: إن شككتم في نبوته وتخصيصنا إياه بذلك فليأتوا برجل منكم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٤٩.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي ٢/٣٧، ٣٨.

(٣) التفسير الكبير ٢/١٢٩.

(٤) نظم الدرر ١/١٦٥.

غيره يصدر عنه أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم وائتوا بشهداء يشهدون أن غيره قد سمع منه ما طلبتم به، فإذا عجزتم عن ذلك مع التماثل في الخلق والعلم بمقادير الكلم... فاتخذوا وقاية من النار[1].

وقال الكرماني: لأن (من) تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة، حسن دخول (من) فيها ؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل[2].

قال السعدي: وهذا دليل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به[3].

(٧) – ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

والكلام مع رد الضمير إلى المنزل – ضمير مثله – أحسن ترتيباً وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه ألا يفك عنه برد الضمير إلى غيره، ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمد صلى الله عليه وسلم منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله، ولأنهم إذا خوطبوا جميعاً، وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به هذا الواحد كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم : ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا النفر الواحد، ولأن هذا هو الملائم لقوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾[4].

---

(١) ملاك التأويل ١/١٨٣، ١٨٤.

(٢) أسرار التكرار في القرآن للكرماني ص ٦٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥.

(٤) الكشاف ١/٢١٩، ٢٢٠.

وعند ابن جماعة نكتة مبناها على أن الضمير ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ عائدٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم [1].

قلت: وبهذا حسن أن تكون ختام آيات التحدي ؛ لأن البقرة مدنية وهي أول المدني نزولاً.

فالتحدي الواقع في سور **الإسراء** ، **والطور** ، **وهود** وجميعها سور مكية ، فكأن التحدي الذي هنا في البقرة بسورة من مثله من أوله إلى آخره تنزلاً معهم وإشعاراً بعجزهم الذي حكم به بعد ذلك ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ ، وهذا من عجيب القرآن التحدي ثم إثبات عجزهم في صورة تدهش وتأخذ بالألباب.

أقول تعليقاً عن آيتي الاقتران المتصلة التي لم يفصل بينها بفاصل:

البقرة أول السور المدنية ، وفيها أول نداء على ترتيب المصحف في دعوة عامة إلى العبادة والتوحيد الخالص فكأنها تلخص ما تم بناؤه من قضايا القرآن العظمى في عهد مكة.

وفي آيتي الاقتران ينصب الحق تعالى دليلاً على وحدانيته واستحقاقه للألوهية دون من سواه تعالى.

ثم الاستدلال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بتحديهم أن يأتوا بمثل القرآن، وأنى لهم ذلك ؟، وقد تطاولت مدد التحدي ثلاث عشرة سنة في مكة ولم ينبسوا ببنت شفة.

ولعل الآية أن تختم مراحل التحدي وتعلن عجزهم التام بصمت مطبق هو ما استطاعوا عليه.

وفي قوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ إشارة إلى أنه عجز دائم لا يتوجه لفئة ولا يحصره زمن.

---

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ص ٩١.

ولعل مما يشع من مطاوي الآيتين من آيتي القِران أنكم كما لم ترتابوا وأيقنتم بأن مدبر الكون وخالق السماء وباسط الأرض وما بث فيها من خلق ونعم من الله ، فحقيق ولازم أن لا ترتابوا في القرآن ، فمن أنزله حجة وبرهاناً وتكلم به كما يليق بجلاله، هو من خلق الخلق وأوجد النسم ونشر الخلائق ودبَّر المخلوقات فحق الأمرين اليقين لا الارتياب في أحدهما والإيقان بالآخر، والله أعلم.

المطلب الثاني: آيتا النور

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور: ٣٤].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣].

قولـه: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

المناسبة :

لما أتم سبحانه هذه الآيات في براءة عائشة رضي الله عنها ومقدماتها وخواتيمها قال عاطفاً على قوله أولها: ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ١]. ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ [النور: ٣٤].[١]

والرازي جعل الآية صفات للقرآن بعد ذكره الأحكام في السورة، قال بعد قوله تعالى: ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾: وههنا آخر الكلام في الأحكام[٢].

---

(١) نظم الدرر ٢٧٠/١٣.

(٢) التفسير الكبير ٢٢٣/٢٣.

فكأن الوارد بعد في آخر السورة آداب ،وإن كانت من جملة الأحكام، والله أعلم.

وقيل في المناسبة: كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها ، وصدر بالقسم المعربة عنه اللام ؛ لإبراز كمال العناية بشأنه ، أي: وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريم آيات مبينات لكل ما لكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب[1].

النكات واللطائف:

(١)– وصف الآيات المنزلة بثلاث صفات على تنوع للمفسرين في المراد بالآيات، أهي ما في السورة من الأحكام والحدود أم آيات القرآن عامة؟ قولان[2].

قلت: وما تتصف به آيات السورة –إن قيل إنها المرادة –فهي تسري إلى آيات القرآن كله فما اتصف به البعض المجموع واحداً يتصف به الكل ، وإن جُعل المراد بآيات القرآن جميعه فواضح.

وصف القرآن بثلاث صفات:

١– أنها مبينات: أي واضحات مفسرات مفصلات.

٢ – ومثلاً من الأمم الماضية أي : خبراً عنهم وعما حل بهم من مخالفة أمر الله ونهيه.

جاءت آية ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور:٤٦].بعد آية إزجاء السحاب ونزول الغيث، واخترت الآية الأولى المصدر بها في المتن ، لأنها أوسع وصفاً للقرآن مما تكرر صدرها بعد ذلك.

(١) قاله أبو السعود في تفسيره الإرشاد ٤ /١١٦، ونقله بحذافيره الألوسي ١٨/ ١٥٩.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤ /١١٧، أنوار التنزيل ٢ /٤٩٧.

٣ – وموعظة للمتقين: زاجراً واعظاً عن ارتكاب المحارم والمآثم ، فالقرآن موعظة لمن اتقى وخاف(١).

(٢)–وخص المتقين بالذكر ؛ لأنهم المنتفعون بمواعظ القرآن.

وقيل: وإنما قيل ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ ، حثاً للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها(٢).

الآية الثانية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣].

المناسبة:

لما أخبر بأن من الله تعالى المبدأ للكل بالإيجاد من العدم فتقرر ملكه وقدرته على البعث حسب ما وعد به بعد أن تحرر ملكه، دل عليه بتصرفه في العالم العلوي والسفلي بما يدل على القدرة على الإعادة فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾(٣).

وقال صاحب التحرير: أعقب الدلالة على إعطاء الهدى في قوانين الإلهام في العجماوات بالدلالة على خلق الخصائص في الجماد بحيث تسير على السير الذي قدره الله لها سيراً لا يتغير، فهي بذلك أهدى من فريق الكافرين الذين لهم عقول وحواس لا يهتدون بها إلى معرفة الله تعالى... وهذا استدلال بنظام بعض حوادث الجو... وقد حصل

(١) المحرر الوجيز ٣٨٤/٦ ، التفسير الكبير ٢٢٣/٢٣، أنوار التنزيل ٤٩٧/٢، تفسير ابن كثير ٢٣٤/١٠، إرشاد العقل السليم ١١٧/٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ١١٧/٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٢٩١/١٣.

من هذا حسن التخلص للانتقال إلى الاستدلال على عظم القدرة وسمو الحكمة وسعة العلم الإلهي[١].

النكات واللطائف:

(١)- ﴿يُزْجِي﴾ الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة ، غلب في سوقه شيء يسير أو غير معتد به ، ومنه البضاعة المزجاة، ففيه إيماء إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به[٢].

(٢)- ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ فيه دلالة على وجودها -أي السحاب - متقدماً متفرقاً، إذ التأليف لا يصح إلا بين موجودين، ثم إنه سبحانه يجعله ركاماً وذلك بتركيب بعضها على بعض، وهذا مما لا بد منه ؛ لأن السحاب إنما يحمل الكثير من الماء إذا كان بهذه الصفة وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره[٣].

وعند الكشاف: ومعنى تأليف الواحد: أن يكون قَزَعاً فيضم بعضه إلى بعض، وجاز بينه وهو واحد ؛ لأن المعنى بين أجزائه[٤].

وزاد القرطبي على جواب الزمخشري بجواب آخر[٥].

وفي معنى التأليف مختصراً عند ابن عطية ، والبيضاوي ، وأبي حيان وغيرهم[٦].

(٣)- وقال البقاعي عند قول الله عز اسمه: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ في غاية العظمة متراكباً بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة[٧].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٠/١٨.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٣٢.

(٣) التفسير الكبير ١٣/٢٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٣١٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١٥، ٣٠٨.

(٦) زاد المسير ٦/ ٥٢ ، أنوار التنزيل ٢/ ٥٠٢، البحر المحيط ٦/ ٤٢٦، إرشاد العقل السليم ٤/ ١٣٢ .

(٧) نظم الدرر ٢٩٢/١٣.

(٤)- ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ الظاهر أن في السماء جبالاً من برد قاله مجاهد، والكلبي، وأكثر المفسرين، خلقها الله كما خلق في الأرض جبالاً من حجر، قال هذا أبو حيان(١).

وقاله الرازي قبله، ونسب إلى أكثر المفسرين(٢).

وقيل: إن المعنى مجازي، فالمراد الكثرة لا أن في السماء جبالاً، وهذا مستعمل في اللغة كما يقال: فلان يملك جبالاً من ذهب، أو هو جبل في العلم، وكله يراد به الكثرة(٣).

وبالقول الثاني الذي يجعل الجبار مجازاً عن الكثرة لا المعنى الحقيقي ذهب ابن عاشور(٤).

قال الرازي مرجحاً للأول: قال المفسرون: والأول أولى... وكما يصح أن يجعل الله الماء في السحاب ثم ينزله برداً، فقد يصح أن يكون في السماء جبال من برد، وإذا صح في القدرة كلا الأمرين فلا وجه لترك الظاهر(٥).

وقال أبو السعود: وليس في العقل ما ينفيه من قاطع، وهو قول البيضاوي(٦).

(٥)- ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ جعل نزول البرد إصابة؛ لأن الإصابة إذا أطلقت في كلامهم دلت على أنه حلول مكروه، ومن ذلك سميت المصيبة الحادثة المكروهة.

وأما قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة: ٥٠] فلأن قوله ﴿حَسَنَةٌ﴾ قرينة على إطلاق الإصابة على مطلق الحدوث إما مجازاً مرسلاً وإما

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٢٦.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ١٤.

(٣) ذكر القولان جميعاً في المصادر التالية: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٩، البسيط للواحدي ١٦/ ٣٢٢، ٣٢٥، الكشاف ٤/ ٣١٢، المحرر الوجيز ٦/ ٤٠٠ ، زاد المسير ٦/ ٥٣، التفسير الكبير ٢٤/ ١٤، البحر المحيط ٦/ ٤٢٦، روح المعاني ١٨/ ١٩٠، ١٩١.

(٤) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٦١.

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ١٤، ١٥.

(٦) أنوار التنزيل ٢/ ٥٠٢ ، إرشاد العقل السليم ٤ / ١٣٢.

مشتركاً لفظياً أو مشتركاً معنوياً، فإن أصاب مشتق من (الصوب) وهو النزول، ومنه صوب المطر، فجعل نزول البرد إصابة ؛ لأنه يفسد الزرع والثمرة فضمير (به) للبرد[1].

وقال الرازي: فالظاهر أنه راجع إلى البرد – أي ضمير –يصيب به، ويصرفه– ومعلوم من حاله أنه قد يضر ما يقع عليه من حيوان ونبات، فبين سبحانه أنه يصيب به من يشاء على وفق المصلحة، ويصرفه أي : يصرف ضرره عمن يشاء[2].

ويرى أبو حيان احتمال عود الضمير في (به) على المطر والبرد، قال: والمطر هو أعم، وأغلب في الإصابة والصرف، وأبلغ في المنفعة والامتنان[3].

وعلق الآلوسي على قوله بأن فيه بعداً ومنعاً ظاهراً[4].

وكون الضمير عائداً إلى البرد هو قول ابن عباس والمفسرين كما نص عليه الواحدي[5].

(٦)– ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.

نبه تعالى على ما هو غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النار التي ربما نزلت منها صاعقة فأحرقت ما لا تحرقه النار[6].

قال الرازي: وجه الاستدلال بقوله:﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ أن البرق الذي يكون صفته ذلك لا بد وأن يكون ناراً عظيمة خالصة، والنار ضد الماء والبرد، فظهوره من البرد يقتضي ظهور الضد من الضد، وذلك لا يمكن إلا بقدرة قادر حكيم[7].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٢/١٨.

(٢) التفسير الكبير ١٥/٢٤.

(٣) البحر المحيط ٤٢٧/٦.

(٤) روح المعاني ١٩١/١٨.

(٥) البسيط ٣٢٦/١٦.

(٦) نظم الدرر ٢٩٢/١٣.

(٧) التفسير الكبير ١٥/٢٤.

وقال أبو السعود: وهنا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث أنه توليد للضد من الضد[1].

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه ؛ للإيذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به[2].

قلت: وهذه اللفظة الوحيدة المجيء بها في تصوير بعث السحاب وإرسال الرياح وإمطار الغيث.

وهي ثانية في الاشتقاق من لفظة: (أزجى)، بعد قوله تعالى في قصة يوسف وإخوته ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ وكلمة ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ ههنا هي أول مورد للفظة وبعدها في سورة الروم ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ فإذا أصاب به من يشاء من عباده، فالودق جاء في موطنين ويزجي جاء منها وما يشتق من أصلها في موضعين ، فهاتان لطيفتان.

والسورة المدنية هذه افتتحت بأوصاف لما فيها من آيات بينات وأحكام واضحات وفرائض ملزمات، تمهيداً لما فيها من أحكام وواجبات كان جلها لقضايا أسرية اجتماعية وفي شأن حفظ الفروج خاصة.

ولم يذكر القرآن باسمه هذا أو بما سوى ذلك من الأسماء في تلكم السورة (النور) ونعتت الآيات خلال السورة ذكراً ووصفاً خمس مرات ، وأنها واضحات مفصلات لا خفاء فيها ولا إبهام ، بل هي موضحة مفصلة مستبينة المعالم والهدايات والدلالات.

وسورة النور اكتنفت آية وصف السحاب وإنزاله وجبال البرد وسنا البروق الإخبار عن إنزال الآيات المبينات قبلها في آية (٣٤) وبعدها في آية (٤٦).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٣٣.

(٢) إرشاد العقل السليم ٤/ ١٣٣.

وجدير بالذكر أن اتجاه الوصوف لآيات القرآن وصوف للجزء دالة على الكل، فما حوته من بيان وهدى ومواعظ يسري إلى كل الكتاب، فهو من وصف البعض ونعته نعتاً ينطبق على ما عداه من بواقي السور الكريمة.

وفي وصف أجزاء الكتاب من سور وآيات موافق لما تم في وصف أجزاء سير السحاب وتكونه واجتماع متفرقه وانسكاب هتونه بالماء تارة والبرد أخرى.

فهذه أوصاف لأجزاء السحاب وجمعه، وتلك سر أجزاء الكتاب من سور وآيات بما ينطبق على الجميع، وهذا نوع من المناسبة، والله أعلم.

* * *

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم أما بعد:

فهذه محصلة ما تم درسه وضم متفرقه وأشتاته من لطائف الآيات المقترنة بين نزولين : غيث الكتاب وماء السحاب، وما تركته أكثر مما جمعته ، وكيف تظن الإحاطة بما احتواه الكتاب العزيز وكنوزه مدخورة ،وغرر بيانه متجددة مذخورة ، ولكن هذه ومضات منها وإشارت تدل عليها :

١ – هذه الدراسة المتفردة عنت بما اقترن في كتاب الله من موضوعات وقضايا، لخصت نزولي آيات القرآن ومطر السماء، بعد أن سعت الجهود نحو بحوث الاقترانات اللفظية أو اقتران المفردات.

وهذه الدراسة تنادي أهل القرآن إلى سلوك هذه الطريقة وتفريق البصر في كتاب الله تفريقاً تأتلف به مقترنات موضوعية أخرى ، وتنثر درها المكنون.

٢ – اقترنت آيات النزولين: نزول القرآن والماء الهتان في ١٤ موضعاً، معظمها في السور المكية إلا ما في سورتي البقرة والنور المدنيتين.

٣ – في هذا الاقتران ما اتصل فيه النزولان، وفيه ما انفصل فكان بينهما فاصلٌ وهو الغالب، ومن نظر في ما تخلل النزولين لم ير الانفصال بعيداً عن تقرير قضية أساسية من قضايا العهد المكي ومعالم هداياته الكبرى.

٤ – تقدم إنزال القرآن على إنزال غيث السماء في سور: الأنعام، إبراهيم، الحجر، الكهف، الفرقان، النور، العنكبوت، الشورى ، وتقدم إنزال الماء على إنزال القرآن في بقية المواطن من سور: البقرة، الرعد، فصلت، الزمر، الواقعة، النحل.

فهذه أربع عشرة سورة لجميع مواطن الاقتران النزولي.

٥ – نَدَر أن تخلو صدور هذه السور الجامعة لاقتران النزولين من ذكر القرآن وتنويه بشأن الكتاب في أوائلها ، وكان جلياً في سور: البقرة، الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل، الكهف، الفرقان، الزمر، فصلت، الشورى، النور، وخلت منها افتتاح سور العنكبوت، الواقعة، والأنعام، لكن ميز جميعها أن هناك حديثاً مبثوثاً عن القرآن بخبر عنه أو نعت له أو صفة من صفاته في كل سورة، وربما نعت الكتاب بعظيم النعوت في أولها وآخرها وربما في وسطها كذلك، هو ملحظ منبه إليه في مواضعه المختلفة.

٦ – كم ظهر في آيات الاقتران من لطائف مودعة ومعان مبتكرة وإشارات سنية، فسبحان من هذا كلامه المبين وكتابه العظيم، فمع تكرار الخبر بنزول الغيث ووصف سير السحاب وسوق الرياح وإرسالها إلا أنها جاءت على أفنان شتى، وفي كل موطن تأتي بمفردات وجمل مختلفة عن المواطن الأخرى ، مناسبة للسورة ولمقدار الغرض منها طولاً وقصراً، إيجازاً وإطناباً، كاشفة عن معاني مبهرة وحقائق مسفرة.

٧ – أما آية نزول القرآن فغرض ما عناه التنزيل من إيرادها جلي ، وهو تقرير صدق الكتاب وأنه حق منزل على محمد صلى الله عليه وسلم ليس من عنده ولا من تلقاء نفسه، ودفع شبهات الخصوم وتحداهم مقرعاً لهم موبخاً عن عماء بصائرهم عن النور المبين والحق المستبين.

أما آية نزول الماء ودفق السحاب فكان متنوعاً من تقرير دلائل الوحدانية وإثبات تفرد الله بالخلق والتدبير والتصريف لأمور الخلق في سياق منظومة من دلائل القدرة الباهرة وآيات التوحيد القاهرة، وفي إثبات أمر المعاد ويوم القيامة مقابل إنكار المنكرين واستبعاد المكذبين إلى بيان أمر الدنيا وسرعة زوالها وانقضاء زهرتها وتغير مناهجها وأنه دار فناء وغرور وكدر وتقلب وشرور.

٨- تبين لي عظيم قدر البقاعي ومصنفه الفريد (نظم الدرر)، فبخلاف غايته الأصيلة من كشف وجوه الروابط ولفائف المناسبات بين الآي والسور، إلا أنه سفر غني بالأسرار والنكات و الفوائد و الشرح الوافي لغريب القرآن ،ومبتكرات المعاني، فجزى الله مؤلفه جزاء حسنا، وأثابه الثواب الكريم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا المرتضى وشفيعنا المجتبى وآله وصحابته وأتباعه ومن اهتدى.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١. **أحكام القرآن** ، القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله ابن العربي (٥٤٣)هـ ، تحقيق / محمد بن عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٢. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي** السعود **محمد بن العماد الحنفي (٩٨٢هـ).** تحقيق / عبدالقادر عطا ،مكتبة الرياض الحديثة.

٣. **أصول السرخسي.** أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، ت٣٩٠هـ. حقق أصوله: أبو الوفاء الأفغاني، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدرآباد – الهند.

٤. **إعراب القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ٣٢٧هـ ،اعتنى به / خالد العلي ، دار المعرفة بيروت لبنان ،ط٢ ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن القيم) ت ٧٥١هـ. تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦. **الأم.** أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ت ٢٠٤هـ. تحقيق وتخريج : د / رفعت عبدالمطلب ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، ط١ ١٤٢٢هـ ١٩٩١م.

٧. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي ٧٩١ ، تحقيق: محمد صبحي حلاق ، ود / محمود الأطرش ، دار الرشيد بيروت لبنان ، ط١ ١٤٢١، ٢٠٠٠م.

٨. **البحر المحيط في أصول الفقه.** بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي الزركشي، ت ٧٩٤هـ. طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٩. **البحر المحيط.** محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت ٧٥٠هـ. دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ: عادل عبدالموجود والشيخ علي معوض، شارك في تحقيقه: د. زكريا النوتي، ود. أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٠. **بدائع الفوائد.** أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، ت ٧٥١هـ. تحقيق / علي العمران ، دار الفوائد ،طبعة مجمع الفقه الإسلامي.

١١. **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** ، تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (٥٠٥هـ) ،دراسة وتحقيق وتعليق د / السيد الجميلي ، مركز الكتاب للنشر.

١٢. **البرهان في علوم القرآن.** بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي، ت ٧٩٤هـ، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٣. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان.

١٤. **التبصرة في أصول الفقه ،** لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (٤٧٦)هـ شرحه وحققه د / محمد حسن هيتو ، دار الفكر بدمشق ، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

١٥. **التبيان في إعراب القرآن ،** لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) ، تحقيق / علي البجاوي ،مطبعة عيسى الباب الحلبي.

١٦. **التحرير والتنوير.** محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٣هـ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

١٧. **التفسير البسيط ،** علي بن أحمد بن محمد الواحدي ٤٦٨هـ ، طبعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام بالرياض ، تحقيق مجموعة من الباحثين ١٤٣٠هـ

١٨. **تفسير القرآن العظيم.** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٩. **التفسير الكبير،** فخر الدين عمر الرازي (٦٠٤ هـ) ،دار الفكر للطباعة والتوزيع، لبنان، ط ١ ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٠. تناسق الدرر في تناسب السور ، **جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١)هـ** تحقيق : عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م..

٢١. **تهذيب اللغة ،** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠)هـ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٢. **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد،** سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٣٣)هـ تحقيق أسامة عطايا العتيبي ،دار الصميعي للنشر والتوزيع ط١ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٢٣. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ،الشيخ / عبدالرحمن السعدي ١٣٧٦هـ .

٢٤. **التيسير في القراءات السبع ،** أبي عمرو عثمان بن سعيد الدني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن.** محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، تحقيق معالي الدكتور عبدالله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٦. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦)هـ، عناية / محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١ ١٤٢٢هـ

٢٧. **الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١)هـ**،تحقيق د / عبدالله التركي ،مؤسسة الرسالة ،ط١ ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٢٨. **حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي** ،مصلح الدين مصطفي بن إبراهيم الرومي الحنفي(٨٨٠)هـ ،تحقيق / عبدالله بن محمود عمر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٢٩. **حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، (١١٩٥هـ)**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٣٠. حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد مصلح الدين القوجوي الحنفي ،٩٥١ هـ، طبعة الأوفست، مكتبة الحقيقة، تركيا،١٤١١هـ– ١٩٩١م.

٣١. **الحجة في القرءات السبع ،الحسين بن خالويه (٣٧٠)هـ**، دار الشروق ،تحقيق عبدالعال مكرم، ط٣ ١٣٩٩، ١٩٧٩م.

٣٢. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦هـ، تحقيق د / أحمد الخراط، دار القلم بدمشق.

٣٣. **درة التنزيل وغرة التأويل**، الخطيب الإسكافي عبدالله بن محمد بن عبدالله الأصبهاني (٤٢٠)هـ ،رسالة جامعية من أم القرى، د / محمد مصطفى آيدين، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٣٤. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، ت ١٢٧٠هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٥. **زاد المسير في علم التفسير.** أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ٥٩٧هـ ،المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ –١٩٨٣م.

٣٦. **السبعة في القراءات.** ابن مجاهد.ن ٣٢٤هـ. تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣.

٣٧. **السنن الكبرى**، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ. تحقيق / محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٣ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٤م.

٣٨. **شرح الكوكب المنير (المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه)** ،لمحمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي المعروف بابن النجار (٩٧٢)هـ، تحقيق وهبة الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣.

٣٩. **الصلاة وحكم تاركها** ،محمد بن أبي بكر (ابن القيم)، (٧٥١هـ)، تحقيق / محمد نظام الدين الفتيحي، دار ابن كثير، دمشق– بيروت–ط١ ١٤١٩هـ

٤٠. **العدة في أصول الفقه**. القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، ت ٤٥٨هـ، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د. أحمد بن علي سير المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٤١. **علاقات الاقتران في الجملة العربية، دراسة في الفكر النحوي والدراسات اللغوية الحديثة**، د/ محمد رجب محمد الوزير، بحث منشور في مجلة علوم اللغة – مصر، العدد ٤، ١٩٨٨م.

٤٢. **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي** ،أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي (١٠٦٩)هـ، دار صادر، بيروت لبنان.

٤٣. **غرائب آي التنزيل، (أنموذج جليل في غرائب التنزيل)**، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق عبدالرحمن المطرودي ،عالم الكتب ، ط١ ١٤١٢هـ١٩٩١م.

٤٤. **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق ودراسة د/ أحمد الحمادي ،إصدار وزارة الشئون الإسلامية بدولة قطر، ط١ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤٥. **الكتاب**، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠)هـ، تحقيق / عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ؛ ط٢ ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

٤٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة العبيكان، ط١ ١٤١٨هـ ١٩٨٨هـ.

٤٧. **كشف المعاني في المتشابه من المثاني** ،بدر الدين بن جماعة ٧٣٣هـ، تحقيق د/عبدالجواد بن خلف، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٤٨. **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها**، مكي بن أبي طالب القيسي، (٤٣٧هـ)، تحقيق /محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.

٤٩. **لسان العرب**، جمال الدين عبدالله محمد بن المكرم (ابن منظور) (٧١١)هـ. الناشر، دار المعارف بالقاهرة.

٥٠. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧)هـ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٥١. **مجاز القرآن**، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، ت ٢١٠هـ، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٥٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله الأنصاري، عبدالعال السيد إبراهيم، الرحالة الفاروق، محمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٥٣. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠)هـ، دار الكلم الطيب بيروت لبنان، ط١ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥٤. **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (٩١١)هـ**، قرأه وعلق عليه د / عبدالمحسن العسكر، دار المنهاج، ط١ ١٤٢٦هـ.

٥٥. **المسودة في أُصول الفقه.** تتابع على تأليفه ثلاثة من آل تيمية رحمهم الله، حقق أصوله وفصَّله وضبط مشكله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٥٦. **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى ين زياد الفراء (٢٠٧)هـ، عالم الكتب، ط٣ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٥٧. **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج إسحاق بن إبراهيم السري **(٣١١) ه**، تحقيق د /عبدالجليل شلبي، عالم الكتب ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٨. **معترك الأقران في إعجاز القرآن.** جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر الإسلامي، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

٥٩. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، د / أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي بالعراق، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦٠. **مفردات ألفاظ القرآن.** الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢) هـ. الناشر مكتبة / مصطفى نزار الباز.

٦١. **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ في آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن جعفر الغرناطي (٧٠٨)هـ**، تحقيق / سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٦٢. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، مكي بن أبي طالب القيسي، (٤٣٧هـ)، تحقيق / مجموعة من الباحثين، طبعة جامعة الشارقة، ط١ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

* * *

56- Ibn Manzhour, Jamal Al-Din. *Lisan Al-Arab*. Cairo:Dar Al-Ma‘arif, 711AH. Print.

57- Ibn Mujahid, *Al-Sab‘ah fi Al-Qira'at*. Ed. Shawqi Dhaif. 3rd ed. Dar Al-Ma‘arif, (n.d.). Pritn.

58- Jama‘ah, Badr Al-Din. *Kashf Al-Ma‘ani fi Al-Mutashabih min Al-Mathani*. Ed. Abduljawwad Khalaf. 1st ed. Dar Al-Wafa’, 1990AD. Print.

59- Khalwiyah, Al-Hussain. *Al-Hijjah fi Al-Qira’at Al-Sab‘*. Ed. Abdulaal Mukarram. Dar Al-Shuruq, 1979AD. Print.

60- Matlub, Ahmad.*Mu‘jam Al-Mustalahat Al-Balaghiyah wa Tatawuruha*. Iraq: Al-Majma‘ Al-‘ilmi, 1983AD. Print.

61- Qanbar, Amr Uthman.*Al-Kitab.* Ed. Abdulsalam Haroun. 2nd ed. Cairo: Maktabat Al-Khanji, 1982AD. Print.

62- ‘Ashur, Muhammad Al-Tahir. *Al-Tahrir wa Al-Tanwir*. Tunisia: Dar Sahnon, 1393AH. Print.

* * *

47- Al-Wahidi, Ali Ahmad. *Al-Tafsir Al-Basit.* Ed. A group of Researchers. Riyadh: Sceintific Research Deanship at Imam University, 1430AH. Print.

48- Al-Wazir, Muhammad Rajab. *'ilaqat Al-Iqtiran fi Al-Lughah Al-Arabiyah: Dirasah fi Al-Fikr Al-Nahwi wa Al-Dirasat Al-Lughawiyah Al-Hadithah*. Egypt: 'ulum Al-Lughah Magazine (4), 1988AD. Print.

49- Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad. *Al-Burhan fi 'ulum Al-Quran*. Ed. Mustafa Abdulqadir Atta. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmiyah 1988AD. Print.

50- Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad. *Al-Bahr Al-Muhit fi Usul Al-Fiqh*. 2nd ed. Kuwiat: The Ministry of Islamic Affairs, 1992AD. Print.

51- Al-Zamakhshari, Jar Allah Mahmoud. *Al-Kashf 'an Haqa'ik Ghawamidh Al-Tanzil wa 'uyoun Al-Aqawil fi Wujuh Al-Ta'wil*. Ed. A group of Researchers. 1st ed. Al-Obeikan Bookstore, 1988AD. Print.

52- Ibn Al-Athir, Dhiyaa' Al-Din. *Al-Mathal Al-Sa'ir fi Adab Al-Katib wa Al-Sha'ir*. Cairo: Dar Nahdhat Masr, 637AH. Print.

53- Ibn Al-Najjar, Muhammad. *Sharh Al-Kawkab Al-Munir: Al-Mukhtabar Al-Mubtakar Sharh Al-Mukhtasar fi Usul Al-Fiqh.* Ed. Wahba Al-Zuhaili & Nazih Hammad. Al-Obeikan Bookstore, 1993AD. Print.

54- Ibn Al-Qayyim, Muhammad.*Al-Salah wa Hukm Tarikaha*. Ed. Muhammad Nizham Al-Din Al-Fitihi. 1st ed. Beirut-Damascus: Dar Ibn Kathir, 1419AH. Print.

55- Ibn Al-Qayyim, Muhammad.*I'lam Al-Muwaqi'in 'an Rab Al-Alamin*. Ed. Mash-hour Hassan Al Salman. 1st ed. Dar Ibn Al-Jawzi, 1423AH. Print.

37- Al-Shafi'i, Muhammad Idris. *Al-Um*. Ed. Rif'at Abdulmuttalib. 1st ed. Egypt: Dar Al-Wafa', 2001AD. Print.

38- Al-Shirazi, Ibrahim Ali. *Al-Tabsira fi Usul Al-Fiqh*. Ed. Muhammad Hassan Hito. Damascus: Dar Al-Fikr, 1983AD. Print.

39- Al-Sirri, Ishaq Ibrahim. *Ma'ani Al-Quran wa I'rabuh*. Ed. Abduljalil Shalabi. 1st ed. 'Alam Al-Kutub, 1988AD. Print.

40- Al-Suyouti, Jalal Al-Din. *Mu'tarak Al-Aqran fi I'jaz Al-Quran*. Ed. Ali Muhammad Al-Bajawi. Dar Al-Fikr Al-Islami, 1970AD. Print.

41- Al-Suyouti, Jalal Al-Din. *Tanasuq Al-Durar fe Tanasub Al-Suwar*. Ed. Abdulqadir 'Atta. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmiyah, 1986AD. Print.

42- Al-Suyouti, Jalal Al-Din. *Qatf Al-Azhar fi Kashf Al-Asrar.* Ed. Ahmad Al-Hammadi. 1st ed. Qatar: The Ministry of Islamic Affairs, 1994AD. Print.

43- Al-Suyouti, Jalal Al-Din. *Marasid Al-Matali' fe Tanasub Al-Maqata' wa Al-Matali'*. Ed. Abdulmuhsin Al-'Askar. 1st ed. Dar Al-Minhaj, 1426AH. Print.

44- Al-Tabari, Muhammad Jarir. *Jami' Al-Bayan 'an Ta'wil Al-Quran.* Ed. Abdullah Al-Turki.1st ed. Cairo: Dar Hijr, 2001AD. Print.

45- Al-Tamimi, Mu'ammar Muthanna. *Majaz Al-Quran*. Ed. Muhammad Fu'ad Sazkin. Cairo: Maktabat Al-Khanji, (n.d.). Print.

46- Al-Taymyah. *Al-Muswaddah fi Usul Al-Fiqh*. Ed. Muhammad Mohiyy Al-Din Abdulhamid. 1st ed. Cairo: Al-Madani Press, 1964AD. Print.

27- Al-Khafaji, Ahmad Muhammad. *Inayat Al-Qadhi wa Kifayat Al-Radhi ‘ala Tafsir Al-Baidhawi*. Beirut: Dar Sadir, 1069AH. Print.

28- Al-Nahhas, Ahmad Muhammad. *I‘rab Al-Quran*. Ed. Khalid Al-‘Ali. 2nd ed. Beirut: Dar Al-Ma‘rifah, 2008AD. Print.

29- Al-Nasfi, Abdullah Ahmad. *Madarik Al-Tanzil wa Haqa’ik Al-Ta’wil*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayeb, 1998AD. Print.

30- Al-Qaysi, Makki. *Al-Kashf ‘an Wujuh Al-Qira’at Al-Sab‘ wa Ilaliha*. Ed. Mohiyy Al-Din Ramadhan. Damascus: Majma‘ Al-Lugha Al-Arabiyah, 1974AD. Print.

31- Al-Qaysi, Makki. *Al-Hidayah ila Bulugh Al-Nihayah.* Ed. A group of Researchers. 1st ed. Al-Shariqah University, 2008AD. Print.

32- Al-Qurtubi, Muhammad Ahmad. *Al-Jami‘ li Ahkam Al-Quran wa Al-Mubayen lima Tadhammanahu min Al-Sunnah wa Ayi Al-Furqan*. Ed. Abdullah Al-Turki. 1st ed. Al-Risalah Foundation, 2006AD. Print.

33- Al-Razi, Fakhr Al-Din Umar. *Al-Tafsir Al-Kabir*. 1st ed. Lebanon:Dar Al-Fikr, 1981AD. Print.

34- Al-Razi, Zain Al-Din Muhammad. *Ghara’ib Ayi Al-Tanzil: Unmothaj Jalil fi Ghara’ib Al-Tanzil*. Ed. Abdulrahman Al-Matroudi. 1st ed. ‘alam Al-Kutub, 1991AD. Print.

35- Al-Sa‘di, Abdulrahman.*Taysir Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Mannan.* (n.p.), 1376AH. Print.

36- Al-Sarkhasi, Muhammad Ahmad. *Usul Al-Sarkhasi*. Ed. Abu Al-Wafa’ Al-Afghani. Hyderabad: Ihya’ Al-Ma‘arif Al-Nu‘maniyah Committee, (n.d.). Print.

18- Al-Ghirnati, Ahmad Ibrahim. *Malak Al-Ta'wil Al-Qati' bi Thawi Al-Ilhad wa Al-Ta'til fi Tawjih Al-Mutashabih Al-lafzh fi Ayi Al-Tanzil*. Ed. Sa'id Al-falah. Dar Al-Gharb Al-Islami, 2007AD. Print.

19- Al-Halabi, Ahmad Yousif. *Al-Durr Al-Masoun fi 'ulom Al-Kitab Al-Maknoun*. Ed. Ahmad Al-Kharat. Damascus: Dar Al-Kalam, (n.d.). Print.

20- Al-Hanafi, 'Isam Al-Din Isma'il. *Hashiyat Alqunawi 'ala Tafsir Al-Baidhawi*. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmiyah, 2001AD. Print.

21- Al-Hanafi, Muhammad Muslih Al-Din.*Hashiyat Shaykh Zadah 'ala Tafsir Al-Baydhawi*. Offset Printing. Turkey: Maktabat Al-Haqiqa 1991AD. Print.

22- Al-Hanafi, Muhammad. *Irshad Al-'Akl Al-Salim ela Mazaya Al-Kitab Al-Karim*. Ed. Abdulqadir 'Atta. Maktabat Al-Riyadh Al-Hadithah, (n.d.). Print.

23- Al-Hanafi, Muslih Al-Din Mustafa. *Hashiyat Ibn Al-Tamjid 'ala Tafsir Al-Baidhawi*. Ed. Abdullah Mahmoud Umar. 1st ed. Beirut: Dar Alkutub Al-'ilmiyah, 2001AD. Print.

24- Al-Hanbali, Muhammad *Al-'uddah fi Usul Al-Fiqh*. Ed. Ahmad Ali Al-Mubaraki. 2nd ed. (n.p.), 1990AD. Print.

25- Al-Jawzi, Jamal Al-Din Abdulrahman. *Zad Al-Masir fe 'ilm Al-Tafsir.* 3rd ed. Al-Maktab Al-Islami, 1983AD. Print.

26- Al-Karmani, Mahmoud Hamzah. *Al-Burhan fe Tawjih Mutashabih Al-Quran lima fih min Al-Hujjah wa Al-Bayan.* Ed. Al-Sayed Al-Jmaily. Markaz Al-Kitab wa Al-Nashr, (n.d.). Print.

9- Al-Baghdadi, Shihab Al-Din Mahmoud. *Ruh Al-Ma'ani fe Tafsir Al-Quran Al-Azhim wa Al-Sab' Al-Mathani*. 4th ed. Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 1985AD. Print.

10- Al-Baydhawi, Nasser Al-Din Abdullah. *Anwar Al-Tanzil wa Asrar Al-Ta'wil*. Ed. Muhammad Subhi Hallaq & Mahmoud Al-Atrash. 1st ed. Beirut: Dar Al-Rasheed, 2000AD. Print.

11- Al-Bayhaqi, Ahmad. *Al-Sunan Al-Kubra*. Ed. Muhammad Abdulqadir Atta. 3rd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'ilmiyah, 2004AD. Print.

12- Al-Bukhari, Muhammad Isma'il. *Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar min Umur Al-Nabiy wa Sunanih wa Aiyamih*. Ed. Muhammad Zuhair Al-Nasser. 1st ed. Dar Tawq Al-Najah, 1422AH. Print.

13- Al-Dani, Uthman sa'id. *Al-Taysir fi Al-Qira'at Al-Sab'*. Ed. Autobritzil. 2nd ed. Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1984AD. Print.

14- Al-Dimashqi, Imad Al-Din. *Tafsir Al-Quran Al-Azhim*. Ed. A group of editors. 1st ed. Qurtuba Foundation, 2000AD. Print.

15- Al-Dimashqi, Muhammad. *Bada'i' Al-Fawa'id*. Ed. Ali Al-Umran. Mujamma' Al-Fiqh Al-Islami ed. Dar Al-Faw'id, (n.d.). Print.

16- Al-Fayrouzabady, Majd Al-Din Muhammad.*Basa'ir Thawi Al-Tamyeez fi Lata'if Al-Kitab Al-'Aziz.* Ed. Muhammad Ali Al-Najjar. Lebanon: Al-Maktabah Al-'ilmiyah, (n.d.). Print.

17- Al-Farra', Yahya Ziyad. *Ma'ani Al-Quran*. 3rd ed. 'Alam Al-Kutub, 1983AD. Print.

Arabic References

1- Abdulwahab, Suliman Abdullah. *Taysir Al-‘Aziz Al-Hamid Sharh Kitab Al-Tawhid*. Ed. Osama ‘Ataya Al-Otaiybi. 1st ed. Dar Al-Sumai‘I, 2007AD. Print.

2- Al-‘Akbari, Abi Al-Baqa’. *Al-Tibyan fi I‘rab Al-Quran*. Ed. Ali Al-Bajawi. ‘Issa Al-Bab Al-Halabi, (n.d.). Print.

3- Al-Andalusi, Abdulhaq.*Al-Muharar Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz*. Ed. Abdullah Al-Ansari., Abdula’al Ibraheem, Al-Rahalah Al-Faruq, & Muhammad Alshafi’i. 2nd ed. Duha:Wizarat Al-Awqaf wa Al-Shu’un Al-Islamiyah, 2007AD. Print.

4- Al-Andalusi, Muhammad Yousif.*Al-Bahr Al-Muhit*. Ed. ‘Adel Abdulmawjud, Ali Mu‘awadh, Zakaria Al-Nuti, Ahmad Al-Jamal. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-‘ilmiyah, 1993AD. Print.

5- Al-Arabi, Muhammad Abdullah. *Ahkam Al-Qur’an*. Ed. Muhammad Abdulqadir Atta. Beirut: Dar Al-Kutub Al-‘ilmiyah, (n.d.).Print.

6- Al-Asbahani, Abdullah Muhammad. *Durrat Al-Tanzil wa Ghurrat Al-Ta’wil*. Muhammad Mustafa Aydin. Umm Al-Qura University: Makkah, 2001AD. Print.

7- Al-Asfahani, Al-Raghib. *Mufradat Alfazh Al-Quran*. Maktabat Mustafa Nizar Al-Baz, (n.d.). Print.

8- Al-Azhari, Muhammad Ahmad. *Tahthib Al-Lughah.* Al-Dar Al-Misriyah, 370AH. Print.

of the chapters like: Albaqarah, Alr'ad, Fusselat, Alzumur, Alwaq'ah, Alnahl. 4-It is rare for these major chapters to lack the conjugation of the two revelations and the citation of the Qur'an in their beginnings and it is clear in Albaqarah , Alr'ad , Ibraheem , Alhijr , Alnahl , Alkahf , Alfurqan , Alzumur , Fusselat , Alshoura and Alnur while the beginnings of Alankabot , Alwaki'ah and Alana'am Didn't mention it , but all these major chapters are characterized by the presence of a brief citation of the holy Qur'an and it's descriptions in the beginnings , the ends or even in the middle of the chapter and this noted in the different areas. 5-The verses about the revelation of the holy book are clearly reporting the fact that the holy book is the complete and utter truth as revealed to our prophet Muhammad peace be upon him and not made by him pushing away all the allegations of the deniers daring and reproaching them for the blindness of their visions from seeing the glowing truth.While the verses mentioning the showers of the sky and rain are variable reporting the evidence of the oneness of Allah and stating that Allah is the only creator of all beings and responsible for the measure and discharge of everything within a system of evidence of his splendid power , the verses also.Confirm the issue of the date and the doomsday against the denials of the rejectors showing the truth of life and the swiftness of it's demise as the house of vanishing , fluctuation and vanity.May Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions and followers.

The Indications of the Associations of Revealing the Holy Quran with the Saving-Rain in the Verses of the Holy Quran: Secrets, Occasions and subtleties

Dr. Beraik ben Saeed Al-Qarni
Department of the Holy Quran – College of fundamentals of Religion
Imam Mohammed Ben Saudi Islamic University

Abstract:

This research studies a type of subjective pairing which is the pairing of the revelation of the holy Qur'an and the showers of the sky in it's fourteen positions. The research plan consists of an introduction , two chapters and a conclusion indexed as follows: The 1st chapter : an introduction to the pairing according to the scholars and the literature in the field of the holy Qur'an and it has three areas of study. The second chapter : It is about the conjugation between the the revelation of the holy Qur'an and the showers of the sky and it has two study areas. The first study area is about the pairing of the revelation of the holy Qur'an and the showers of the sky in the Meccan ear and it has eleven requirements. The second area of study is about the pairing of the revelation of the holy Qur'an and the showers of the sky in the Medinan era and it has two requirements. And I came to the following conclusions: 1-The conjugation between the verses of the two revelations : the revelation of the holy Qur'an and the rain and sky's showers in fourteen position most of which are in the Meccan chapters except for the ones in The Medinan Albaqarah and Alnur. 2-In this conjugation the two revelations are connected in some areas and separated by intervals in the majority of cases , if we look closely at what the holy book offers we will find that the intervals aren't far from reporting a fundamental issue in the Meccan ear and the the milestones of it's guidance. 3-The presentation of the revelation of the holy Qur'an precedes the Rain in the following chapters: Alan'am, Ibraheem, Alhijr, Alkahf, Alfurqan, Alankabot, Alnur and Alshoura while the Showers of the sky precedes the revelation of the holy book in the rest